

من تراث الفخارية

الحمد لله  
الذي هدانا لهذا

الإعلام

بأن التصوف من شريعة الإسلام

الإمام الحافظ الحجة

أبي الفضل

عبد الله الصديقي الفخاري الحسني

راجعته وعلق عليه

عصام محمد الفخاري

TEL : 905909  
P.O.B. 946 Cairo

طبعون : ٩٩٠-٩٩٠  
سنة ٩٤٦ القاهرة



C.R. 48212 Cairo

سجل تجاري ٤٨٢١٢



من تراث الغمارية

# الإمام

بأن التصوف من شريعة الإسلام

للإمام الحافظ الحجة

أبي الفضل

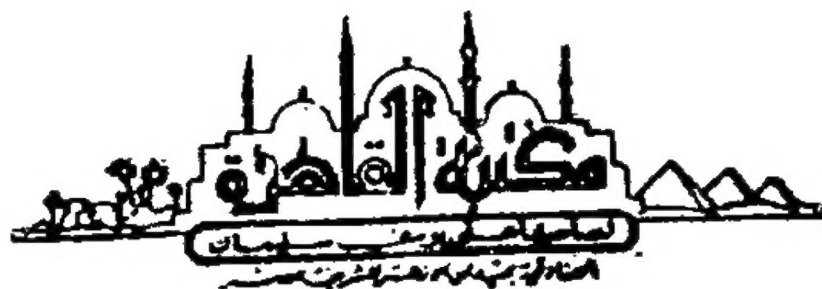
عبد الله الصديق الغماري الحسني

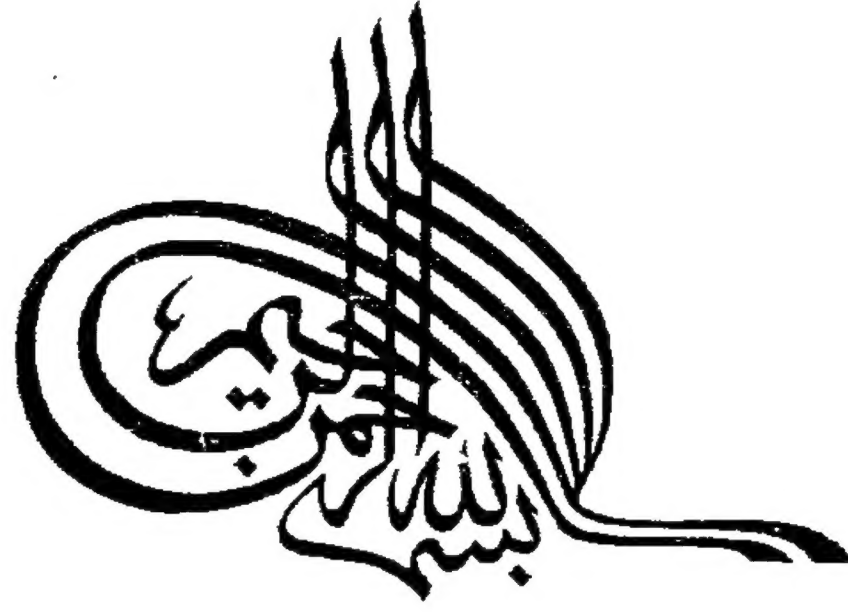
راجعته وعلق عليه

عصام محمد الصارني

الطبعة الثانية

١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م





رقم الإيداع بدار الكتب

١٩٩٨ / ٨٤٣٠

الترقيم الدولي I.S.B.N

٩٧٧-٥٤٣٧-٤٧-٤

جميع حقوق الطبع والتحقيق والتعليق والنشر والتوزيع والنقل والترجمة والاقتباس

محفوظة حسب قوانين النشر

خاصة بمكتبة القاهرة

لصاحبها: على يوسف سليمان وأولاده

١٢ شارع الصناديقية بالأزهر ت : ٢٥٩٠٥٩٠٩

١١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر ت : ٢٥١٤٧٥٨٠

جوال : ٠١٢٢٢٧٥٠٩٤٢

رمز بريدي ١١٥١١ - الأزهر - القاهرة

Alqahirah٥٥@yahoo.com - Tarekali٥٩٩٢@yahoo.com

جمهورية مصر العربية

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مقدمة المحقق

الحمد لله رب العالمين على ما توالى من النعم، والشكر له على ما خص منها وعم،  
والصلاة والسلام على النبي الأعظم، الذي رسم لنا الطريق الأقوم، وعلى آله وصحبه  
وأمة أشرف الأمم.

أما بعد : فهذه رسالة لطيفة، تناولت موضوعاً هو من أهم مواضيع الساعة، ألا وهو  
علم التصوف أو السلوك والأخلاق، كتبها الفقيه الأصولي الضليع، الشيخ / عبدالله بن  
الصديق الغماري - رحمه الله تعالى - وسماها «الإعلام»، بأن التصوف من شريعة  
الإسلام، وكان القصد منها الدفاع عن هذا العلم وأهله، والرد على من زعم أن التصوف  
دخيل على الإسلام.

والحقيقة التي لا جدال فيها هي أن التصوف جزء من الإسلام يصوره لنا قوله ﷺ  
حين يقول : «الأإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد  
الجسد كله، ألا وهي القلب» محط العناية والأنظار، عند أهل التصوف الأخيار.

وأما قوله ﷺ «الإحسان» أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، فمقام  
عظيم في الدين، يناله أهل الإيمان واليقين، وهو شامل لمقامين عظيمين، هما المراقبة  
والمشاهدة، جعلنا الله تعالى ممن شاهده.

فالتصوف في الحقيقة لا يفارق السلف في معتقده، ولا يفارق الفقهاء في معتمده،  
لأن العقائد رأس ماله، والأحكام أساس أعماله، فهو آخذ بالآحوط من المأمورات،  
مجتنب للمنهييات، مقتصر على الضروريات من المباحات، همه تخلية القلب من  
الردائل، وتحليته بالفضائل، متبعاً في ذلك أصحاب الحديث، لما هم عليه في ذلك من  
التحقيق والتثبيت، غايته : إفراد القلب لله دون ما سواه.

فالتصوف - في نظري - أولى قضايا العصر الحالي، فينبغي الاهتمام به علماً وعملاً،

وما أصاب الأمة اليوم من تراجع وخذلان إنما داؤه غياب تلك المعانى النبيلة، والصفات الحميدة، المأخوذة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

فعندما فهم السلف معانى التصوف على حقيقتها وعملوا بها كان لهم السبق فى جميع الميادين، فشغلوا نفوسهم بالاستقامة والتقوى للذين هما أساس الدين وقوامه، لقوله ﷺ مخاطباً الأمة فى شخص أحد صحابته «قل آمنت بالله استقم» وقوله لآخر: «اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن».

وقد اشتهر عن الإمام مالك - رضى الله عنه - مقولة تنبئ عن أهمية التصوف فى الإسلام، حيث يقول: «من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن جمع بينهما فقد تحقق» نقلها زروق فى قواعده - رحمه الله تعالى - وكذا أنشد الإمام الشافعى - رضى الله عنه - بيتين رائعين فى تلازم الفقه والتصوف، فقال:

فقيهاً وصوفياً فكن ليس واحداً

فإنى وحق الله إياك أنصح

فذاك قاس لم يذق قلبه تقى

وهذا جهول فكيف يصلح

ولا أحد من الصادقين فى السلوك إلى الله تعالى ينكر ما شاب أهل التصوف من بدع وخرافات، ابتعدوا بها عن الإسلام ومنهجه، إلا من رحم الله، وقليل ما هم، وإن كان العلامة الفقيه والصوفى المتين: زروق الفاسى - رحمه الله تعالى - قد نفى وجود الشيخ الصالح، والمربى الناصح، فى زمانه - وهو القرن التاسع الهجرى - فلا غرابة فى نفى وجوده فى هذا الزمان،

على أن شيوع تلك البدع فى كثير من الصوفية الآن، لا يمس أصل التصوف من قريب أو بعيد بحال من الأحوال، فكما لا ربط بين المسلمين وبين الإسلام فى الحكم عليه، لقصور المسلمين عن القيام بواجبهم تجاه الإسلام، لا ربط أيضاً بين التصوف وأهله إذ هو جزء منه، فلا يعتبر صنيع القوم، ولا واقع تاريخهم شهادة على التصوف، بقدر ما هو شهادة على الصوفية، فإن كان فى تطبيقهم للتصوف ما يساير قواعده تلك الباقية المثالية فذاك، وإلا فذنبهم فى ذلك على جنبهم، وليس على التصوف إثم شئ منه.

ولم يكن عملي في هذه الرسالة إلا بعض تصحيحات لأخطاء مطبعية كانت قد وقعت في طبعتها الأولى، مع كتابة شيء من التعليقات اقتضتها موضوعات الرسالة، وللمؤلف نفسه بعض تعليقات رمزت إلى كل واحدة منها بوضع حرف « ف » في آخرها فليعلم ذلك .

وأسأل الله أن يكون قصدنا في الأقوال والأفعال وجهه - تعالى - وأن يوفقنا لما فيه رضاه، ويقطعنا عن كل شيء سواه، وأن يملأ قلوبنا من حبه وحب رسله، ويذيقنا لذة الوصل من فيض فضله، وأن يأخذ بأيدينا إن زللنا، ويسامحنا إن أخطأنا، إنه هو الجواد الكريم، الرؤوف الرحيم . آمين .

وكتبها العبد الضعيف :

**عصام محمد الصاري**

عفى الله عنه

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٤٢) وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿

[الشورى: ٤٢ - ٤٣].

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (٧٢) لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿

[الأحزاب: ٧٢ - ٧٣].

﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾

[التكوير: ٢٩].



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مقدمة المؤلف

الحمد لله الذى منح أوليائه جزيل عطائه، ووهب أصفياه جليل حبائه<sup>(١)</sup>، تجلى لهم بمظهر من مظاهر أسمائه، فتاهت عقولهم فى مشاهدة عظمتهم وكبريائه، وطافت أرواحهم هائمة فى قدس سنائه، وأفناهم عن أنفسهم فلم يشهدوا سواه فى أرضه وسنائه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ندخرها ليوم لقائه، ونستوجب بها جميل جزائه<sup>(٢)</sup>، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أفضل رسله وأنبيائه، أفاض عليه مولاه من أنواع العلوم والمعارف ما تنوء الجبال الشم بحمل أعبائه، صلى الله وسلم عليه صلاة وسلاماً خالدين مع خلود الدهر، باقين بعد فنائه، ورضى الله عن آله الكرام حماة الدين، الدافعين عنه بالسيف والبرهان حملات أعدائه، وعن أصحابه الفخام، والتابعين لهم بإحسان إلى قيام الساعة وساعة القيام.

(أما بعد) فإن التصوف كبير قدره، جليل خطره، عظيم وقعه، عميق نفعه، أنواره لامعة، وأثماره يانعة، واديه قريع<sup>(٣)</sup> خصيب، وناديه يندو<sup>(٤)</sup> لقاصديه من كل خير بنصيب، يزكى النفس من الدنس، ويظهر الأنفاس من الأرجاس، ويرقى الأرواح إلى مراقى الفلاح، ويوصل الإنسان إلى مرضاة الرحمن.

وهو - إلى جانب هذا - ركن من أركان الدين، وجزء متمم لمقامات اليقين، خلاصته: تسليم الأمور كلها لله، والالتجاء فى كل الشؤون إليه. مع الرضا بالمقدور، من غير إهمال فى واجب ولا مقاربة المحذور، كثرت أقوال العلماء فى تعريفه، واختلفت

(١) حبائه: بكسر الحاء المهملة - أى عطائه.

(٢) أى ونستحق بها جزاءه الجميل، إذ لا يجب على الله شئ.

(٣) قوله «قريع» بقاف وعين مهملة، كذا فى الأصل المطبوع، ولعله تصحيف صوابه «فريع» بفاء وغيث معجمة، أى واسع عريض. راجع «اللسان».

(٤) قوله «يندو» أى يكثر العطاء لهم والتسخى عليهم، ومنه قول الشاعر:

لولا كـتائب من عـمـرو يـصـول بها

أرديت يا خـيـر من يندو له النادى



أنظارهم في تحديده وتوصيفه، وذلك دليل على شرف اسمه ومسماه، ينبئ عن سمو غايته ومرماه، فقليل: التصوف: الجسد في السلوك، إلى ملك الملوك، وقيل: التصوف: الموافقة للحق، والمفارقة للخلق. وقيل: التصوف ابتغاء الوسيلة، إلى منتهى الفضيلة. وقيل: التصوف: الرغبة إلى المحبوب، في درك المطلوب. وقيل: التصوف: حفظ الوفاء وترك الجفاء. إلى غير هذا من الأقوال التي تبلغ نحو ألف حكايها الحافظ الصوفي أبو نعيم الأصفهاني في كتابه «حلية الأولياء» وسئل الإمام أبو القاسم الجنيد -سيد الطائفة- عن التصوف، فقال: (تصفية القلب عن موافقة البرية، ومفارقة الأخلاق الطبيعية، وإخماد صفات البشرية، ومجانبة الدواعي النفسانية، ومنازلة الصفات الروحانية، والتعلق بالعلوم الحقيقية، واستعمال ما هو أولى على الأبدية، والنصح لجميع الأمة، والوفاء لله على الحقيقة، واتباع الرسول ﷺ في الشريعة) ١هـ. ولعل هذا أبلغ ما قيل في التصوف وكشف حقيقته، وإن كانت الأقوال السابقة مختلفة في اللفظ والمبنى، فهي متفقة في الغاية والمعنى. وإنما عبر كل قائل بحسب مدركه ومشربه<sup>(١)</sup>، وعلى نحو اختلافهم في التصوف اختلفوا في معنى الصوفي واشتقاقه، فقال الإمام أبو علي الروذباري وقد سئل عن الصوفي: (من لبس الصوف على الصفاء، وأطعم الهوى ذوق الجفاء، وكانت الدنيا منه على القفا، وسلك منهاج المصطفى ﷺ). وقال الإمام سهل بن عبد الله التستري<sup>(٢)</sup>: (الصوفي من صفا عن الكدر، وامتأ من الفكر، وانقطع إلى الله من البشر،

(١) وما أحسن ما أنشده العلامة ابن الحاج في المدخل -رحمه الله تعالى- حيث يقول:

ليس التصوف ليس الصوف ترقعه

ولا بكأوك إن غنى المغنوننا

ولا صياح ولا رقص ولا طرب

ولا اختباط كأن قد صرت مجنوننا

بل التصوف: أن تصفوبلا كدر

وتتبع الحق والقـرآن والديننا

وأن ترى خاشعاً لله مكتئباً

على ذنوبك طول الدهر محزوننا

نقل هذه الأبيات العلامة: محمد الأمير -رحمه الله تعالى- في حاشيته على جوهرة التوحيد، ص ١٦٣.

(٢) بضم التاء الأولى وفتح الثانية، وسهل هذا هو القائل: (الناس هلكى إلا العالمون، والعالمون هلكى إلا العاملون، والعالمون هلكى إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم) وكثير من الناس يعتقدونه حديثاً وليس كذلك. (ف).



واستوى عنده الذهب والمدر<sup>(١)</sup>، وأنشد الإمام تقي الدين السبكي:

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا

قدما وظنوه مشتقاه من الصوف

ولست أنحل هذا الاسم غير فتى

صافي فصوفي حتى لقب الصوف

وهذان البيتان لأبي الفتح البستي . وقال العلامة الشيخ محمد ميارة المالكي في شرح المرشد المعين: ( وفي اشتقاق التصوف أقوال، إذ حاصله اتصاف بالمحامد، وترك للأوصاف المذمومة وقيل: من الصفاء). وقال المحقق أبو حفص الفاسي المالكي: ( ظهر لي أنه منسوب إلى الصوف، لأنه في الغالب شعاره ودثاره<sup>(٢)</sup>، ولأن هذا اللفظ -يعني لفظ صوفي- مشتمل على ثلاثة أحرف منقطعة من ثلاث كلمات دالة على ثلاثة معان هي أوصافه المختصة به، فالصاد من الصفاء، والواو من الوفاء، والفاء من الفناء). قال العلامة ابن الحاج: ( وقد أشرت إلى ذلك في ثلاثة أبيات، فقلت:

صفا منهل الصوفي عن علل الهوى

فما شاب ذاك الورد من نفسه حظ

ووفى بعهده الحب إذ لم يكن له

إلى غير من يهوى التفات ولا لحظ

(١) وقد ذكر الإمام شهاب الدين عمر السهروردي -رحمه الله تعالى- في كتابه «عوارف المعارف» (٢٠٨/١) ضابطاً يجمع جمل معاني تلك الأقوال، فقال: «الصوفي: هو الذي يكون دائم التصفية لا يزال يصفى الأوقات عن شوب الأكدار بتصفية القلب عن شوائب النفس، ويعينه على هذه التصفية دوام افتقاره إلى مولاه، فبدوام الافتقار ينقى من الكدر، وكلما تحركت النفس وظهرت بصفة من صفاتها أدركها ببصيرته النافذة وفر منها إني ربه... فلا بد للصوفي من دوام الحركة، بدوام الافتقار، ودوام الفرار، وحسن التفقد لمواقع إصابات النفس. ومن وقف على هذا المعنى يجد في معنى التصوف جميع المتفرق في الإشارات» ١هـ.

(٢) الشعار: بالكسر - ما ولى الجسد من الثياب، والدثار: ما كان فوق الشعار من الثياب، وهو أيضا بالكسر.



## مسحت آية الإظلام شمس نهارة

وقد ذهبت منه الإشارة واللفظ (١)

ثم إن التصوف مبنى على الكتاب والسنة، لا يخرج عنهما قيد أنملة (٢). قال الإمام الجنيد: (علمنا هذا مشيد بالكتاب والسنة) وقال أيضاً: (الطريق إلى الله تعالى مسدود، إلا على المقتفين آثار رسول الله ﷺ). وقال سهل التستري -أحد أئمة القوم-: (أصولنا سبعة أشياء: التمسك بكتاب الله، والاقتداء بسنة رسول الله ﷺ، وأكل الحلال، وكف الأذى، واجتناب المعاصي، والتوبة، وأداء الحقوق).

وقال أبو العباس المثلث -أحد كبار الصوفية-: (لم تكن الأقطاب أقطاباً، والأوتاد أوتاداً، والأولياء أولياء، إلا بتعظيمهم رسول الله ﷺ. ومعرفتهم به، وإجلالهم لشريعته، وقيامهم بآدابه). وقال الإمام أبو الحسن الشاذلي الغماري: (من دعا إلى الله تعالى بغير ما دعا به رسول الله ﷺ فهو مدعى). وقال: (ليس هذا الطريق بالرهبانية ولا بأكل الشعر والنخالة، وإنما هو بالصبر على الأوامر، واليقين في الهداية، قال تعالى ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]. وقال أيضاً: (ما ثم كرامة أعظم من كرامة الإيمان، ومتابعة السنة، فمن أعطيهما وجعل يشتاقي إلى غيرهما فهو عبد مفتر كذاب، أو ذو خطأ في العلم والصواب، كمن أكرم بشهادة الملك فاشتاق إلى سياسة الدواب). وقال تاج الدين السبكي في جمع الجوامع -وهو من الكتب المقررة في الأزهر-: (ونرى أن طريق الشيخ الجنيد وصحبه طريق مقوم). قال شارحه الجلال المحلي: (فإنه خال من البدع، دائر على التسليم والتفويض والتبري من النفس...). وقال التاج السبكي أيضاً في كتابه «معيد النعم ومبيد النقم»: (الصوفية

(١) وقيل إن الصوفية نسبة إلى صوفة وهو أبو حنيفة من مضر، مسمى صوفة لأن أمه جعلت في رأسه صوفة وجعلته ربيطاً للكعبة يخدمها، واستمر أولاده بعده يخدمونها. ويقال لهم صوفان، قال الزمخشري في أساس البلاغة: وآل صوفان كانوا يخدمون الكعبة ويتنسكون، ولعل الصوفية نسبت إليهم تشبيهاً بهم في التنسك والتعبد، أو إلى أهل الصفة، فيقال مكان الصفية: الصوفية بقلب إحدى الفاءين واواً للتخفيف. (ف).

(٢) القيد: بكسر القاف الممدودة -أي القدر. والأنملة: واحدة الأنامل، رؤوس الأصابع التي فيها الظفر، وهي بفتح الهمزة، وفتح الميم أكثر من ضمها، وابن قتيبة يجعل الضم من لحن العوام، وقال في المختار: «وأما ضم الميم فلا أعرف أحداً ذكره غير المطرزي في المغرب» وجاء في القاموس والمصباح أن فيها تسع لغات، بتثنية الميم والهمزة.



حياتهم الله وبياهم، وجمعنا في الجنة نحن وإياهم، وقد تشعبت الأقوال فيهم تشعباً ناشئاً عن الجهل بحقيقتهم لكثرة المتلبسين بها، والصحيح أنهم المعرضون عن الدنيا، المشتغلون في أغلب الأوقات بالعبادة. ومن ثم قال الجنيد: التصوف استعمال كل خلق سنى، وترك كل خلق دنى. وقال أبو بكر الشبلى -تلميذ الجنيد-: التصوف ضبط حواسك، ومراعاة أنفاسك. وقال ذو النون المصري: الصوفى من إذا نطق أبان نطقه عن الحقائق، وإذا سكت نطقت عنه الجوارح بقطع العلائق. وقال على بن بندار -تلميذ الجنيد-: التصوف إسقاط رؤية الخلق ظاهراً وباطناً، وهذه عبارات متقاربة. والحاصل: أنهم أهل الله وخاصته، الذين ترتجى الرحمة بذكرهم، ويستنزل الغيث بدعائهم، فرضى الله عنهم وعنا بهم، وللقوم أوصاف وأخبار اشتملت عليها كتبهم، قال الأستاذ أبو القاسم القشيري رحمه الله: جعل الله هذه الطائفة صفوة أوليائه، وفضلهم على الكافة من عباده بعد رسله وأنبيائه -صلوات الله عليهم وسلامه- جعل الله قلوبهم معادن أسرارهم، واختصهم بين الأمة بطوالع أنوارهم، فهم الغياث للخلق، والدائرون في عموم أحوالهم مع الحق. ومن أوصاف هذه الطائفة الرافة والرحمة والعفو والصفح وعدم المؤاخذة).

وقد كثر في هذا الزمان الذى طغى شره على خيره، من ينكر التصوف ويزعم أنه دخيل على الإسلام، جاء به مسلمة الكتابيين والبوذيين ومن على شاكلتهم، وأن الصوفية أصحاب بدع وخرافات، إلى غير ذلك من الدعاوى التى يابها العقل، ويكذبها النقل، فانتدبنا لإبطالها بهذا الكتاب الذى نرجو الثواب عليه من الله تعالى، والتزمنا فيه إيراد الأدلة من الكتاب والسنة، وقصدنا إيضاح الدلالة بعبارة مبسطة هادئة خالية من التعقيد، مع الاستشهاد بكلام أئمة المسلمين وعلمائهم، ومن الله نستمد المعونة والتوفيق.

فى فتوى لمولانا الشيخ الإمام الوالد رضى الله عنه -أجاب بها من سألته عن أول من أسس الطريقة؟ وهل تأسيسها بوحى سماوى؟- جاء فيها: وأما أول من أسس الطريقة؟ وهل تأسيسها بوحى؟... الخ فلتعلم أن الطريقة أسسها الوحي السماوى فى جملة ما أسس فى الدين المحمدى، إذ هى بلا شك مقام الإحسان الذى هو أحد أركان الدين الثلاثة التى جعلها النبى ﷺ بعد ما بينها واحداً واحداً ديناً، فقال «هذا جبريل جاء يعلمكم دينكم» فغاية ما تدعو إليه الطريقة وتشير إليه. هو مقام الإحسان، بعد



تصحيح الإسلام والإيمان، ليحرز الداخل فيها والمدعو إليها مقامات الدين الثلاثة الضامنة لمحرزها والقائم بها السعادة الأبدية في الدنيا والآخرة، والضامنة أيضاً لمحرزها كمال الدين، فإنه - كما في الحديث - عبارة عن الأركان الثلاثة، فمن أخل بمقام الإحسان الذي هو الطريقة فدينه ناقص بلا شك، لتركه ركناً من أركانه، ولهذا نص المحققون على وجوب الدخول في الطريقة وسلوك طريق التصوف وجوباً عينياً، واستدلوا على الوجوب بما هو ظاهر عقلاً ونقلًا.

ولسنا بصدد بيان ذلك الآن. وقد بين القرآن العظيم من أحوال التصوف والطريقة ما فيه الكفاية، فتكلم على المراقبة والمحاسبة والتوبة والإنابة والذكر والفكر والمحبة والتوكل والرضا والتسليم والزهد والصبر والإيثار والصدق والمجاهدة ومخالفة الهوى والنفس، وتكلم على النفس اللوامة والأمانة والمطمئنة، وعلى الأولياء والصالحين والصدّيقين والمؤيدين، وغير هذا مما يتكلم فيه أهل التصوف والطريقة رضى الله عنهم، فاعرف وتأمل. وأما قولك: هل لما أسست الطريقة؟.. الخ فجوابه يعلم مما قبله، فإنها إذا كانت من الدين - بل هي أشرف أركانه - وكانت بوحي كما قلناه، وكان الصحابة بالحالة التي بلغتنا عنهم تواتراً، من المسارعة إلى امتثال أمر الله، كانوا بالضرورة أول داخل فيها، وعامل بمقتضاها، وذائق لأسرارها وثمراتها، ولهذا كانوا على غاية ما يكون من الزهد في الدنيا، والمجاهدة لأنفسهم، ومحبة الله ورسوله، والدار الآخرة، والصبر والإيثار، والرضا والتسليم وغير ذلك من الأخلاق التي يحبها الله ورسوله، وتوصل إلى قربهما، وهي المعبر عنها بالتصوف والطريقة. وكما كانوا - رضى الله عنهم - على هذه الحالة الشريفة كان أتباعهم أيضاً عليها، وإن كانوا دونهم فيها، وكذلك كان أتباع التابعين. وهلم جرا إلى أن ظهرت البدع، وتأخرت الأعمال، وتنافس الناس في الدنيا، وحييت النفوس بعد موتها، فتأخرت بذلك أنوار القلوب، ووقع ما وقع في الدين، وكادت الحقائق تنقلب، وكان ابتداء ذلك في أواخر المائة الأولى من الهجرة، ولم يزل ذلك يزيد سنة بعد سنة إلى أن وصل ذلك إلى حالة تخوف منها السلف الصالح على الدين. فانتدب عند ذلك العلماء لحفظ هذا الدين الشريف، فقامت طائفة منهم لحفظ مقام الإسلام وضبط فروعه وقواعده، وقامت أخرى بحفظ مقام الإيمان وضبط أصوله وقواعده على ما كان عند سلفهم الصالح، وقامت أخرى بحفظ مقام الإحسان وضبط أعماله وأحواله.

فكان من الطائفة الأولى الأئمة الأربعة وأتباعهم -رضى الله عنهم- وكان من الطائفة الثانية الأشعرى وأشيأه وأصحابه، وكان من الطائفة الثالثة الجنيد وأشيأه وأصحابه . فعلى هذا ليس الجنيد هو المؤسس للطريقة، لما ذكرناه من أنها بوحي إلهي وإنما نسبت إليه لتصديه لحفظ قواعد وأصولها، ودعائه للعمل بذلك عندما ظهر التأخر . ولهذا السبب نسبت العقائد للأشعرى ، والفقهاء للأئمة الأربعة، مع أن الجميع بوحي من الله تعالى . وهذا تحقيق نفيس بالغ النهاية في الحسن والإيجاز، ما ترك لمنصف قولاً . وهذه أحاديث في تأييد مذهب الصوفية، مشفوعة بما يوضح معناها، ويبين وجه الدلالة منها على ما تقتضيه القواعد الحديثية والأصولية .

المؤلف

الشيخ عبد الله الصديق الغماري



## الحديث الأول

### «الإحسان . المراقبة . المشاهدة»

عن عمر رضى الله عنه قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد، فجلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه (١) - تأدبا كهيئة المتعلم - وقال : يا محمد أخبرنى عن الإسلام ؟ قال «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً»، قال صدقت قال : فعجبنا له يسأله ويصدقه!! قال فأخبرنى عن الإيمان؟ قال «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»، قال : صدقت قال فأخبرنى عن الإحسان؟ قال «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» قال : فأخبرنى عن الساعة؟ قال «ما المسئول عنها بأعلم من السائل» قال فأخبرنى عن أماراتها قال «أن تلد الأمة ربتها» (٢) وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان» فانطلق الرجل فلبثت ملياً ثم قال «يا عمر أتدرى من السائل؟» قلت الله ورسوله أعلم، قال «فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم» رواه مسلم فى صحيحه، ورواه الشيخان من حديث أبى هريرة، وله الفاظ وطرق، وهو حديث مستفيض.

قال الهروى فى «منازل السائرين» : هذا الحديث إشارة جامعة لمذهب هذه الطائفة.

(١) قول عمر -رضى الله عنه- «وضع كفيه على فخذيه» محتمل لأن يكون الرجل وضع كفيه على فخذى نفسه، أو أن يكون وضعها على فخذى سيدنا رسول الله ﷺ - فرجع الأول غير واحد من العلماء ظناً منهم أنه الأدب، ولكن جاء فى رواية النسائى : «فوضع يديه على ركبتى النبى ﷺ» - فارتفع الاحتمال. أفاده الإمام ابن دقيق العيد -رحمه الله تعالى-.

(٢) قوله -ﷺ- «أن تلد الأمة ربتها» أى سيدتها، وقد اختلف العلماء فى تفسيره، والأكثر على أن المراد به : أن يستولى المسلمون على المشركين، ويكثر التسرى بالإماء، فيكون ولد الأمة من سيدها بمنزلة سيدها، لشرفه بابيه، وعلى هذا فالذى يكون من أشراف الساعة : استيلاء المسلمين على المشركين، وكثرة الفتوح والتسرى.

قال شارحه (١): لأن أصل هذه الطريقة الخاصة كمال المعرفة ودوام المراقبة للحق سبحانه في الحركات والسكنات، بل في الأنفاس واللحظات، حتى يستولى سلطان الحق على القلوب، فيضمحل ما تعلقت به أو سكنت إليه من الأحوال والخطوب. فالإحسان يشتمل على مقامين (المراقبة ثم المشاهدة)، والحديث بدأ بالمشاهدة إشارة إلى علوها وسموها، وأنها المقصد الأهم، أما في السلوك والترقى فيكون البدء بالمراقبة، لأن دوامها يورث المشاهدة، ولهذا لما أراد الجنيد الدخول في الطريق وذهب إلى خاله وأستاذه السري السقطي يفضي إليه برغبته، قال له: يا بني إني ألقنك ثلاث كلمات، إذا أردت أن تنام من الليل فقل عند نومك: الله معي، الله ناظر إلي، الله شاهد علي، قال الجنيد: فواظبت عليها نحو شهر، ثم قال لي أستاذي: يا بني إذا كان الله معك وناظر إليك وشاهد عليك، فهل يصح أن تعصيه؟ قال الجنيد فنفعني الله بهذه الكلمات طوال حياتي، كلما هممت بمعصية تذكرتها فما عصيت الله قط. فانظر كيف لقن السري تلميذه الجنيد مقام المراقبة لأنه يوصل إلى المشاهدة القلبية، أما المشاهدة البصرية فهي في الدنيا خاصة بنبيينا ﷺ، لم تعط لغيره؛ قال ابن عباس: إن الله أعطى الخلة لإبراهيم، والكلام لموسى، والرؤية لمحمد ﷺ. وفي صحيح مسلم في حديث الدجال وأنه يقول للناس أنا ربكم قال النبي ﷺ «واعلموا أن أحدا منكم لن يرى ربه حتى يموت» وسئل الإمام مالك لم لم ير المؤمنون ربهم في الدنيا وإنما يرونه في الآخرة؟ فأجاب بأنهم في الدنيا فانون، والفانى لا يرى الباقي، وفي الآخرة أعطوا أبصاراً باقية، فرأوا الباقي بالباقي، ولهذه المناسبة اذكر حادثة وقعت في بغداد، فقد رفع إلى الخليفة أن أحد مشايخ الطريق ادعى أنه رأى الله ببصره وقامت عليه البينة، فأمر بقتله.

فعلم القطب الكبير الشيخ عبد القادر الجيلاني رضى الله عنه - وهو حنبلى المذهب صوفى المشرب - فذهب إلى الخليفة، وقال له: إن هذا الشيخ ضاقت عنه العبارة فصدر عنه ما لا يقصد، فقال الخليفة: وماذا يقصد؟ فقال الشيخ عبد القادر: إنه شاهد الله ببصيرته، فانعكس نور بصيرته على بصره فشاهد ذلك النور، فصدر عنه ما سمعتموه فقال ذلك الشيخ: والله ما أردت إلا هذا، وصدر الحكم ببراءته، وسلامة عقيدته. وهكذا أغلب الألفاظ المشككة المنقولة عن بعض الصوفية، لها محامل صحيحة، ووجوه من التأويل حسنة ولكن المعترضين عليهم مغرضون.

(١) وهو: الإمام الحافظ ابن قيم الجوزية - رحمه الله تعالى - واسم كتابه: «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» له فيه روح عالية وتحقيقات بالغة، وكان مقتضى منهج مؤلفنا الغمارى ذكر اسم الشيخ صراحة، أعلى الله مقامنا في عليين.



## الحديث الثانى

«محاربة الله لمن عادى أوليائه . المجاهدة . الفناء فى الله»

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ وآله وسلم قال «إن الله تعالى قال : من عادى لى وليا (١) فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلى عبدى بشئ أحب إلى مما افترضت عليه ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، ولئن سألتنى لآعطينه، ولئن استعاذنى لأعيدنه» رواه البخارى فى صحيحه، وله طرق عن عائشة وأبى أمامة وعلى وأنس ومعاذ وحذيفة.

فى هذا الحديث بيان مبدأ طريق الصوفية ونهايته، ذلك أنهم يبدأون بالمجاهدة، ولا يزالون يجاهدون أنفسهم، ويجتهدون فى تطهير قلوبهم من كل ما يباعد عن الله، وتزيينها بكل ما يقرب إليه من الأقوال والأعمال والأحوال، ولزوم الإقبال عليه، ودوام المشول بين يديه، فى كل وقت وعلى كل حال بحسب الإمكان حتى يصلوا إلى مقام الفناء، ومن وصل منهم إلى هذا المقام كان محبوبا ملحوظا، ومربوبا محفوظا، فنى عن نفسه، وبقي بربه، فكان الله ولى أمره، وحافظ سره، فهو لذلك سمعه وبصره ويده ورجله، أى متولى شئونه كلها.

(١) فى شرح العلامة : عبد الله النبراوى - رحمه الله تعالى - للأربعين النووية (ص ١٧٣) أن المراد بالمعاداة ما كانت من أجل الولاية، لا مطلقاً فلا تدخل منازعته فى محاكمة لاستخراج حق، كما أن المراد بالولاية هنا: الإيمان ولو كان عاصياً، قال تعالى: «الله ولى الذين آمنوا» فمن آذى مؤمناً فقد دخل فى وعيد الحديث المذكور، ثم قال فى ختام شرحه للحديث: «وهو أصل فى السلوك إلى الله - سبحانه وتعالى - والوصول إلى محبته ومعرفته».

## الحديث الثالث

### «علم الظاهر والباطن»

عن أبي بن كعب رضى الله عنه عن النبي ﷺ وآله وسلم «أن موسى قال للخضر -عليهما السلام-: (هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً، قال إنك لن تستطيع معي صبراً) يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه لا ينبغي لك أن تعلمه، وأنت على علم علمك الله لا ينبغي لى أن أعلمه، أى جميعه، وكذا قوله: لا ينبغي لك أن تعلمه، أى جميعه، قال الحافظ ابن حجر فى شرح البخارى: وتقدير ذلك معتبر، لأن الخضر كان يعرف من الحكم الظاهر ما لا غنى للمكلف عنه، وموسى كان يعرف من الحكم الباطن ما يأتية بطريق الوحى. اهـ وهذا الحديث رواه أصحاب الكتب الستة من طرق، وفيه إثبات علم الباطن الذى يقول به الصوفية، ولهذا قال الجمهور: إن الخضر نبي وكان علمه معرفة بواطن أو حيث إليه، وعلم موسى الحكم بالظاهر. نقله أبو حيان فى «البحر المحيط» فالجمهور -كما ترى- موافقون للصوفية على إثبات الباطن والظاهر، وأن لكل منهما أهلاً يختصون به، فماذا يقول المعترضون؟ إلا أن فى الحديث إشكالا أجاب عنه الحافظ ابن حجر بما سبق فى كلامه، وسلك فى الجواب عنه الشيخ سراج الدين البلقينى فى شرح البخارى مسلوكاً آخر حيث قال: هذا الحديث قد يشكل، فإن العلم المذكور فى الجهتين كيف لا ينبغي علمه؟ وجواب هذا الإشكال أن علم الحقائق والكشوف ينافى علم الظاهر، فلا ينبغي للعالم الحاكم بالظاهر الذى هو مكلف به أن يعلم الحقائق للتنافى، ولا ينبغي للعالم بالحقيقة أن يعلم العلم الظاهر الذى ليس مكلفاً به الذى ينافى ما عنده من الحقيقة ويمكن حمل العلم على تنفيذه، والمعنى: لا ينبغي لك أن تعلمه لتعمل به لأن العمل به مناف لمقتضى الشرع، ولا ينبغي لى أن أعلمه فاعمل بمقتضاه، لأنه مناف لمقتضى الحقيقة، فعلى هذا لا يجوز للولى التابع للنبي ﷺ إذا اطلع على حقيقة أن ينفذ ذلك بمقتضى الحقيقة، وإنما عليه أن ينفذ الحكم الظاهر<sup>(١)</sup>. اهـ ويؤيد حمل العلم على التنفيذ ما جاء فى رواية لمسلم: أن الخضر قال

(١) قلت: كيف يقال: إن علم الباطن ينافى علم الظاهر، مع تصريحهم كثيراً بحصول العلمين فى أكثر =



لموسى عليه السلام (إنك لن تستطيع معى صبراً وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً) شئ أمرت به أن أفعله إذا رأيته لم تصبر، فهذا صريح فى حمل العلم على تنفيذه. وفى الحديث مسألة أخرى أشار إليها العلامة الأبي فى شرح مسلم حيث قال - فى شرح قول موسى (هل أتبعك) إلخ - : علم الخضر هو العلم بالمغيبات الموهوبة الدينية غير المكتسبة، فكيف يسأل تعليم ما لا يكتسب؟ وكان الشيخ - يعنى شيخه الإمام ابن عرفة الذى قيل فيه إنه المجدد على رأس المائة الثامنة - يجيب بأن ذلك قد يكون باعتبار تعلم أسبابه فيمكن اكتسابها بالتزام نوع من طاعة الله تعالى اه وهو يشير إلى ما اتفق عليه الصوفية أن المجاهدة والتزام الذكر مع حضور القلب يورث علوما وهبية، ويؤيده ما رواه الحسين المروزى فى زوائد الزهد لشيخه عبد الله بن المبارك فقال حدثنا أبو معاوية أنبأنا حجاج عن مكحول عن النبى ﷺ وآله وسلم قال «من أخلص لله أربعين يوماً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه» (١) إسناده صحيح، ورواه ابن عدى فى الكامل من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف : ورواه أبو نعيم فى الحلية من حديث أبى أيوب بإسناد ضعيف أيضاً.

= من واحد بخصوصه منهم الإمام الجنيد، وأبو الحسن الشاذلى، وابن عطاء الله، وزروق الفاسى، وغيرهم، ويرحم الله أبا الحسين النورى حين قال : «من رأيتموه يدعى مع الله - عز وجل - حالة تخرجه عن حد العلم الشرعى فلا تقربوا منه» وقال أبو سعيد الخراز - رحمه الله تعالى - : «كل باطن يخالف الظاهر فهو باطل» وسيأتى للمؤلف أن الأفضل والأوفق الجمع بين الحقيقة والشرعية. والله أعلم.

(١) الحديث ذكره ابن عراق - رحمه الله تعالى - فى كتابه «تنزيه الشريعة المرفوعة عن الاخبار الشنيعة الموضوعة» (٢/ ٣٠٥) بتحقيق: الشيخ عبد الله الغمارى، والشيخ عبد الوهاب عبد الطيف - رحمهما الله تعالى - فتنبه

## الحديث الرابع

### «للقرآن ظاهر وباطن»

عن الحسن البصري قال قال رسول الله ﷺ وآله وسلم « لكل آية ظهر وبطن ولكل حرف حد ولكل حد مطلع » رواه الفريابي في تفسيره بإسناد صحيح<sup>(١)</sup>، ورواه أبو عبيد في فضائل القرآن عن الحسن أيضا بإسناد حسن، وروى أبو يعلى والبزار والطبراني في الأوسط عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ وآله وسلم « أنزل القرآن على سبعة أحرف لكل آية منها ظهر وبطن » رجال الحديث ثقات كما قال الحافظ الهيثمي قال ابن النقيب في تفسيره: ظهر الآية ما ظهر من معانيها لأهل العلم بالظاهر، وبطنها ما تضمنته من الأسرار التي أطلع الله عليها أرباب الحقائق . وهذا الحد هو الغامض من المعاني ، والمطلع ما يتوصل به إلى معرفته، ولا يتوصل إلى غامض المعاني إلا أرباب الحقائق بما أفاض الله عليهم من الأسرار والمعارف .

على عليه السلام عنده علم الظاهر والباطن :

روى أبو نعيم في الحلية عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : ( إن القرآن أنزل على سبعة أحرف ما منها حرف إلا له ظهر وبطن وإن على بن أبي طالب عنده منه علم الظاهر والباطن )، وروى أيضا عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ( كنا نتحدث أن النبي ﷺ وآله وسلم عهد إلى على سبعين عهداً لم يعهده إلى غيره ) . فهذا تصريح بأن الصحابة كانوا يعترفون لعلى بتفوقه في علوم الحقائق والأسرار، وهذا مما لا نزاع فيه، وقد قال فيه النبي ﷺ وآله وسلم « أنا مدينة العلم وعلى بابها » وهو حديث صحيح<sup>(٢)</sup> كما بينه

(١) أعلم أن قول المحدثين في الحكم على الحديث بصحة إسناده، أو ثقة رجاله، لا يعنى أن الحديث صحيح، إذ قد يكون الإسناد منقطعاً أو مرسلأ، مع ثقة رجاله . كما هي الحال في هذا الحديث حيث إنه مرسل من مراسيل الحسن البصري، ولكنه يعتضد بما سيذكره المؤلف عن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - مرفوعاً.

(٢) وقد ذكره ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٣٤٩ - ٣٥٠) فأبعد، وفي تاريخ بغداد (١١/ ٤٩ - ٥٠) أن يحيى بن معين سئل عن هذا الحديث فقال : « هو صحيح »، وكذا صححه السيوطى كما فى فتح الملك العلى (ص ١١٦) وحسنه ابن حجر، كما فى اللآلىء (١/ ٣٣٤) والسخاوى فى المقاصد الحسنة =



شقيقى الحافظ أبو الفيض فى كتاب «فتح الملك العلى، بصحة حديث باب مدينة العلم على» وقال ابن عباس: (سلم الصحابة لعل تسعة أعشار العلم، وشاركهم فى العشر العاشر)، وكان عمر رضى الله عنه يقول: (أعوذ بالله من قضية ليس لها أبو حسن) يعنى عليا عليه السلام، وقال أيضا: (لولا على لهلك عمر)، ونص المناوى على أن عمر لم يكن يبعث عليا فى الفتوحات مع شجاعته الفائقة لاحتياجه الى علمه، وحصلت حادثه فى عهد أبى بكر رضى الله عنه أشكلت عليه وعلى الصحابة، فأرشدتهم ابن عباس إلى إحالتها على على عليه السلام فلما أجاب عنها وحل مغلقها، قال له أبو بكر والصحابة: يا مفرج الكروب، وهذه الحادثة مروية بإسنادها فى كتاب المجتنى لابن دريد. ولهذا كان على عليه السلام أستاذ الصوفية ورئيسهم، كما قال الجنيد وابن العربى الحاتمي وغيرهما، وسلسلة الطريق لا تتصل إلا به، ولا تنتهى إلا إليه بالتلقين والافتداء والصحبة كما فصله أخى فى البرهان الجلى.

= (ص ٩٨) قال العلانى: «والحاصل أن الحديث ينتهى بمجموع طريقى أبى معاوية وشريك إلى درجة الحسن المحتج به ولا يكون ضعيفاً فضلاً عن أن يكون موضوعاً، ولم أجد لمن ذكره فى الموضوعات طعناً مؤثراً فى هذين السندين، وبالله التوفيق» راجع ما تقدم فى تحقيق الشيخ الفاضل: محمود سعيد ممدوح، لكتاب «النقد الصحيح» للعلانى (ص ٧٩).

## الحديث الخامس

### «علوم الحقائق لا ينكرها إلا المغرورون»

عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ وآله وسلم «إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا أهل العلم بالله، فاذا نطقوا به لم ينكره إلا أهل الغرة بالله» رواه الطبرسي في الترغيب، والله والديلمي مسند الفردوس وهو حديث ضعيف، لكنه يتأيد بشيئين «أحدهما» ما ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة أيضا قال : حفظت من رسول الله ﷺ وآله وسلم وعاءين فأما أحدهما فبثثته ، وأما الآخر فلو بثثته لقطع هذا البلعوم، قال البخاري البلعوم : مجرى الطعام وهو بضم الباء، وفي رواية لقطع هذا يعني رأسه، فذلك الوعاء الذي لم يثثه محمول على الأحاديث التي فيها بيان أمراء السوء من بنى أمية وعلى الأحاديث التي تتعلق بأشراط الساعة والملاحم في آخر الزمان فينكر ذلك من لم يألفه طبعه كما حصل من مبتدعة العصر إنكار المهدي ونزول عيسى وخروج الدجال والميزان، وغير ذلك . وعلى ما تلقاه من الأسرار والحقائق التي يضيق نطاق كثير من الناس عن فهمها فيبادرون إلى إنكارها : «ثانيهما» ما هو واقع مشاهد، فلا ينكر علوم الصوفية وما وهبهم الله من الحقائق إلا الأغرار المفتونون أصحاب مطامع وأغراض . ومما يصحح به الحديث الضعيف عند أهل الحديث أن يكون الواقع على وفقه لأنه ليس بعد الواقع المشاهد دليل .



## الحديث السادس

### «علم الباطن هو العلم النافع»

عن الحسن عن جابر رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال «العلم علمان فعلم ثابت بالقلب فذاك العلم النافع وعلم فى اللسان فذاك حجة الله على عباده» رواه الخطيب فى التاريخ، وحسنه الحافظان زكى الدين المنذرى وزين الدين العراقى، وأعله ابن الجوزى فلم يصب، ورواه أبو نعيم والديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس بإسناد ضعيف<sup>(١)</sup>.

وهذا الحديث أورده قطب الدين القسطلانى<sup>(٢)</sup> - وهو قبل القسطلانى صاحب المواهب اللدنية - فى كتابه فى التصوف شاهداً للحديث السابق، يشير بذلك إلى أن العلم الثابت بالقلب هو علم الباطن، بدليل حديث «من أخلص الله أربعين يوماً ظهرت ينباع الحكمة من قلبه على لسانه» وقد تقدم تخريجه، وأن علم اللسان هو علم الظاهر وهو حجة الله على عبده إذا لم يعمل به. وإنما كان علم الباطن الذى هو علم القلب نافعا لأنه لا يحصل للشخص إلا بعد المجاهدة والعمل بالعلم الظاهر إذ هو نتيجة وثمرته، بخلاف علم الظاهر فلا ينتفع به إلا من يعمل به، وليس كل عالم عاملاً.

وقد روى ابن أبى حاتم فى تفسيره من طريق سفيان الثورى عن أبى حيان التيمى عن رجل قال كان يقال: العلماء ثلاثة عالم بالله يخشى الله، ليس بعالم بأمر الله. وعالم بالله عالم بأمر الله يخشى الله فذلك العالم الكامل - لجمعه بين علمى الظاهر والباطن - وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله لا يخشى الله، فذلك العالم الفاجر. وإنما كان هذا فاجراً لأنه لم يعمل بعلم الظاهر، والأول من علماء الباطن وهو من الأبرار لأنه خشى الله واتقاه، (واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شئ عليم).

(١) ورواه ابن أبى شيبة فى المصنف والحكيم الترمذى فى نوادر الأصول وابن عبد البر فى العلم من طريق هشام عن الحسن مرسلًا بإسناد صحيح. (ف).

(٢) جاء فى «رفع الأستار» للعلامة: حسن محمد المشاط - رحمه الله تعالى - (ص ٦): «القسطلانى: هو بضم القاف وسكون السين وضم الطاء وتشديد اللام.. كذا أخذناه عن المشايخ شرقاً وغرباً، ووجدناه بخط من يقتدى به اهـ من الهدى» والمشهور: فتح القاف والطاء بينهما سين ساكنة مع تشديد اللام.

## الحديث السابع

### «الإلهام - التحديث»

عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ وآله وسلم «لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون، فإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر»، وفي رواية «قد كان فيمن قبلكم من بنى إسرائيل يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن في أمتي أحد فعمر» رواه البخاري، ورواه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها، ولفظه «قد كان يكون في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في أمتي منهم أحد، فعمر منهم» قال ابن وهب: تفسير محدثون - بفتح الدال المشددة - ملهمون. قال أكثر العلماء: الملهم هو الرجل الصادق الظن، يلقي في روعه شيء من قبل الملائكة فيكون كالذي حدثه غيره به. وقيل مكلم تكلمه الملائكة من غير نبوة كما تقدم في إحدى روايتي أبو هريرة، وجاء في حديث أبي سعيد الخدري قيل: يا رسول الله: وكيف يحدث؟ قال «تتكلم الملائكة على لسانه» رواه الجوهري في فوائده، قال الحافظ ابن حجر: ويحتمل رده إلى المعنى الأول، أي تكلمه في نفسه وإن لم ير مكلمًا في الحقيقة، فيرجع إلى الإلهام. وقوله «فإن يكن في أمتي أحد» إلخ قال الحافظ ابن حجر: قيل لم يورد هذا القول مورد التردد، فإن أتمه أفضل الأمم، وإذا ثبت أن ذلك وجد في غيرهم فإمكان وجوده فيهم أولى، وإنما أورده مورد التأكيد كما يقول الرجل: إن يكن لي صديق فإنه فلان، يريد اختصاصه بكمال الصداقة، لا نفى الأصدقاء. وقيل: الحكمة فيه أن وجودهم في بنى إسرائيل كان قد تحقق وقوعه، وسبب ذلك احتياجهم حيث لا يكون حينئذ فيهم نبي واحتمل عنده ﷺ ألا تحتاج هذه الأمة إلى ذلك لاستنائها بالقرآن عن حدوث نبي، وقد حصل ذلك - أي حصل الاستغناء بالقرآن - حتى إن المحدث منهم - بفتح الدال المشددة - إذا تحقق وجوده لا يحكم بما وقع له، بل لا بد من عرضه على القرآن فإن وافقه أو وافق السنة عمل به وإلا تركه، وهذا وإن جاز أن يقع - لكنه نادر ممن يكون أمره منهم مبنيا على اتباع الكتاب والسنة، وتمحضت الحكمة في وجودهم وكثرتهم بعد العصر الأول، في زيادة شرف هذه الأمة بوجود أمثالهم فيه، وقد تكون الحكمة في تكثيرهم مضاهاة بنى إسرائيل في كثرة



الأنبياء فيهم، فلما فات هذه الأمة كثرة الأنبياء فيها لكون نبيها خاتم الأنبياء، عوضوا بكثرة الملهمين. اهـ كلام الحافظ.

هذا وقد اهتم علماء الأصول بالإلهام، وعقدوا له بحثاً خاصاً تكلموا فيه على معناه، والاحتجاج به. قال التاج السبكي في جمع الجوامع: (الإلهام إيقاع شئ في القلب يثلج له الصدر) أى ينشرح له: وقال الشوكاني في إرشاد الفحول: دلالة الإلهام ذكرها بعض الصوفية، وحكى الماوردي والرويانى فى كتاب القضاء فى حجية الإلهام خلافاً، قال الزركشى فى البحر المحيط: واختار جماعة من المتأخرين اعتماد الإلهام، منهم الإمام الرازى فى تفسيره فى أوله القبلة، وابن الصلاح فى فتاواه، فقال: إلهام خاطر الحق من الحق، قال: ومن علامته أن ينشرح له الصدر، ولا يعارضه معارض آخر. وقال أبو على التميمى فى كتاب التذكرة فى أصول الدين: ذهب بعض الصوفية إلى أن المعارف تقع اضطراراً للعباد على سبيل الإلهام، بحكم وعد الله سبحانه وتعالى بشرط التقوى، واحتج بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً) أى ما تفرقون به بين الحق والباطل، وقوله تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً) <sup>(١)</sup> أى من كل ما يلتبس على غيره وجه الحكم فيه، وقوله تعالى (واتقوا الله ويعلمكم الله) فهذه العلوم الدينية تحصل للعباد إذا زكت أنفسهم وسلمت قلوبهم لله تعالى بترك المنهيات، وامتنثال المأمورات، وخبره صدق ووعد حقه. واحتج شهاب الدين السهروردي على الإلهام بقوله تعالى: (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه) وبقوله (وأوحى ربك إلى النحل) فهذا الوحي هو مجرد الإلهام، ثم إن من الوحي علوماً تحدث فى النفوس الزكية المطمئنة، قال ﷺ: «إن من أمتى المحدثين والمكلمين وإن عمر لمنهم» وقال تعالى (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها) فأخبر أن النفوس ملهمة، واختار السهروردي أن الإلهام حجة لمن وقع له دون غيره، ومال إليه سعد الدين التفتازانى فى بعض مصنفاته، والراجح عند الجمهور أنه ليس بحجة، لا انتفاء العصمة، وهو قول جمهور الصوفية أيضاً.

(١) للشيخ العلامة: تاج الدين عمر بن على اللخمي الاسكندراني المالكي، المعروف بالفاكهاني - رحمه الله تعالى - رسالة مفيدة للغاية فى تفسير هذه الآية، سماها «الغاية القصوى فى الكلام على آية التقوى» طبعت محققة فى بيروت سنة ١٩٩٥م، ينصح كل طالب بقراءتها والعمل بها، والله الموفق..

## الحديث الثامن

### «الحقيقة»

عن أنس أن النبي ﷺ لقي رجلاً يقال له : حارثة، في بعض سكك المدينة، فقال «كيف أصبحت يا حارثة؟» قال : أصبحت مؤمناً حقاً، فقال «إن لكل قول حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟»، فقال : عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلى وأظمأت نهارى، وكأنى أنظر إلى عرش ربى، وكأنى أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وكأنى أسمع عواء أهل النار، فقال «مؤمن نور الله قلبه» وفي رواية «عرفت فالزم، مؤمن نور الله قلبه» رواه البزار في مسنده والبيهقى في الشعب، وله طرق عند ابن المبارك في الزهد، وعبد الرزاق في التفسير، والطبرانى في المعجم، وابن منده. في هذا الحديث إثبات المجاهدة، والزهد، وجولان الروح في العرش والجنة والنار بطريق التفكير والمجاهدة القلبية، وفيه أيضاً إثبات الحقيقة، وهو المقصود هنا، قال شارح منازل السائرين : حقيقة الشئ عند أهل هذا الشأن علامات الدالة عليه، واستدل بهذا الحديث. قال الحافظ السيوطى : ويظهر لى أن أهل هذا الشأن إنما سموا علمهم علم الحقيقة أخذاً من لفظ الحقيقة في هذا الحديث، وقد ظهر لى أن نسبة علم الحقيقة إلى علم الشريعة كنسبة علم المعانى والبيان إلى علم النحو ، فهو سره ومبنى عليه، فمن أراد الخوض فى علم الحقيقة من غير أن يعلم الشريعة فهو من الجاهلين ولا يحصل على شئ، كما أن من أراد الخوض فى أسرار علم المعانى والبيان من غير أن يحكم النحو فهو يخطئ خطئاً عشوائياً، وكيف يدرك أحوال الإسناد والمسند إليه والمسند ومتعلقات الفعل من لم يعرف المبتدأ من الخبر والفاعل من المفعول؟ هذا بين لكل أحد، والحقيقة سر الشريعة ولبها الخالص، كما أن المعانى والبيان سر النحو ولطائفه، والتصوف فقه بلا شك ، فإن أكثره تكاليف واجبة ومندوبة، ومنها محرمة ومكروهة، وقد نص على أن أبواب التصوف من الفقه جماعة من أهل الأصول، ووافقهم ابن السبكي فى جمع الجوامع وأعلم أن دقائق علم التصوف لو عرضت معانيها على الفقهاء بالعبارة التى ألفوها فى علومهم لاستحسنوها كل الاستحسان، وكانوا أول قائل بها، وإنما ينفرهم منها لإيرادها بعبارة مستغربة لم يألّفوها. ولهذا قال بعضهم : الحقيقة أحسن

ما يعلم، وأقبح ما يقال، وأنا أورد لك مثالا تعرف به صحة ذلك . قال فى منازل السائرين : حقيقة التوبة ثلاثة أشياء تميز الثقة من الغرة ونسيان الجناية، والتوبة عن التوبة أبداً، فإن سمع الفقيه هذا اللفظ استغربه جداً، وقال : كيف يتاب من التوبة؟ وإنما يتاب من المعاصى، وتقرير معناه : أن العبد إذا كمل فى رجوعه إلى الله لم يلتفت إلى أعماله ولم يسكن إليها توبة كانت أو غيرها، فيتوب من سكونه إلى توبته . لأن التوبة - وإن كانت من كسب العبد - فهى من خلق الله وتوفيقه ، ولو لم يتب عليه لما تاب، قال تعالى (ثم تاب عليهم ليتوبوا) فرؤية العبد التوبة من نفسه ذنب يستغفر منه، بل عليه أن يشهد محض منة الله عليه بها وتوفيقه لها ، ويلغى نفسه أصلاً عن درجة الاعتبار، وهذا مقام الفناء فى التوبة، وهى أول منازل السائرين، ويقاس به مقام الفناء فى التوحيد فلا يشهد فى توحيد صناعاً، بل محض منة الله عليه به، وتوفيقه له، وهذا المعنى إذا عرض على الفقيه بهذه العبارة المألوفة كان أول قائل به، وناصر له ، اهـ.

وقال سلطان العلماء الإمام عز الدين بن عبد السلام فى قواعد الأحكام : الطريق فى إصلاح القلوب التى تصلح الأجساد بصلاحها وتفسد بفسادها : تطهيرها من كل ما يباعد عن الله ، وتزيينها بكل ما يقرب إليه، ويزلف لديه، من الأحوال والأقوال والأعمال، وحسن الآمال، ولزوم الإقبال عليه، والإصغاء إليه، والمثول بين يديه، فى كل وقت من الأوقات وحال من الأحوال، على حسب الإمكان، من غير أداء إلى السامة والملل، ومعرفة ذلك هى الملقبة بعلم الحقيقة، وليست الحقيقة خارجة عن الشريعة، بل الشريعة طائفة بإصلاح القلوب بالمعارف والأحوال والعزوم والنيات، وغير ذلك مما ذكرناه من أعمال القلوب، فمعرفة أحكام الظواهر معرفة لجل الشرع، ومعرفة أحكام البواطن معرفة لدق الشريعة، ولا ينكر شيئاً منهما إلا كافر أو فاجر، وقد يتشبه بالقوم من ليس منهم ولا يقاربهم فى شئ من الصفات، وهم شر من قطاع الطريق لأنهم يقطعون طريق الداهيين إلى الله تعالى . اهـ .

فتلخص من جميع ما تقدم : أن الحقيقة صنو الشريعة ، بل هلى لبُّها وسرها الخالص<sup>(١)</sup>، وأن ما يثار حولها من اعتراضات قد تصل إلى الكفر أحياناً، مرجعه إلى أمرين « أحدهما » صوغ معانيها فى عبارات غامضة غير مألوفة كما أشار إليها الحافظ

(١) قال أبو بكر الدقاق - وهو من كبار الصوفية - كنت ماراً فى تيه بني إسرائيل فخطر ببالي أن علم الحقيقة مبين للشريعة ، فهتف بى هاتف من تحت شجرة : كل حقيقة لا تتبعها شريعة فهي كفر (ف) .



السيوطي « ثانيهما » تشبه الدخلاء بأهل الحقائق كما أشار إليه عز الدين بن عبد السلام، وجعل هؤلاء الدخلاء شراً من قطاع الطريق، وهذا ما حمل رجال العشيرة المحمدية وفقهم الله على القيام بحملة واسعة لتطهير التصوف مما ألصق به من بدع وخرافات ، وإرجاعه إلى ما كان عليه أيام السلف الصالح من السمو الروحي، والتهديب الخلقى ، وفق الله الخطي، وحقق الآمال .

## الحديث التاسع

### «المكاشفة»

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » رواه الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم، ورواه الطبراني في الكبير وأبو نعيم في الطب النبوي والترمذي الحكيم في نوادر الأصول من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، ورواه ابن جرير وأبو نعيم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، ورواه ابن جرير من حديث ثوبان رضي الله عنه ولفظه « احذروا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله، وينطق بتوفيق الله » وهو حديث حسن كما قال الحافظان نور الدين الهيثمي، وجلال الدين السيوطي، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات فلم يصب، وروى ابن جرير والبزار عن أنس قال قال رسول الله ﷺ « إن لله عبداً يعرفون الناس بالتوسم » إسناده على شرط الحسن، هذا الحديث أصل في الكشف الذي يقع لكثير من الأولياء، تجد الواحد منهم يكشف الشخص بما حصل منه في غيبته كأنه كان حاضراً معه، ونص الحافظ ابن حجر في فتح الباري - في شرح حديث قتل خبيب - رضي الله عنه - على أن إجابة الدعوة في الحال وتكثير الطعام والماء والمكاشفة بما يغيب عن العين والإخبار بما سيأتي ونحو ذلك قد كثر جداً حتى صار وقوع ذلك ممن ينسب إلى الصلاح كالعادة. اهـ وقال أيضاً - في شرح حديث « في خمس لا يعلمهن إلا الله » : وأما ما ثبت بنصر القرآن أن عيسى عليه السلام قال : إنه يخبرهم بما يأكلون وما يدخرون، وأن يوسف قال : إنه ينبئهم بتأويل الطعام قبل أن يأتى إلى غير ذلك مما ظهر من المعجزات والكرامات، فكل ذلك يمكن أن يستفاد من الاستثناء في قوله تعالى (إلا من ارتضى من رسول) فإنه يقتضى اطلاع الرسول على بعض الغيب، والولى التابع للرسول عن الرسول يأخذ، وبه يكرم: والفرق بينهما أن الرسول يطلع على ذلك بأنواع الوحي كلها، والولى لا يطلع على ذلك إلا بمنام أو إلهام والله أعلم . اهـ .

## الحديث العاشر

### «الخلوة والانقطاع إلى الله»

عن عائشة رضى الله عنها قالت : أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد، ويتزود لذلك، رواه البخارى. فى هذا الحديث دليل للصوفية فى الخلوة والانقطاع عن الخلق فى الزوايا والمساجد، قال العارف أبو محمد بن أبى جمرة فى بهجة النفوس : ( فى الحديث دليل على أن الخلوة عون للإنسان على تعبدته وصلاح دينه، لأن النبى ﷺ لما اعتزل عن الناس وخلا بنفسه أتاه هذا الخير العظيم، وكل أحد امتثل ذلك أتاه الخير بحسب ما قسم الله له من مقامات الولاية ). اهـ ولأن الخلوة تعين على التفكير فى عظمة الله، وسعة قدرته، وعموم نعمته، وباهر حكمته، وقد كان تعبد النبى ﷺ فى خلوته بغار حراء تفكراً واعتباراً، وحض القرآن الكريم على التفكير فى غير آية، منها قوله تعالى (إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض) الآية .

وأيضاً فإن الخلوة أجمع لقلب المريد وأعون له على التفرغ لذكر الله وأبعد عن الرياء، وأيضاً فإن الخلوة تبعد المريد عن مواطن اللغو واللفظ، وتهيئه لقبول الواردات الإلهية والتجليات الربانية : ولهذا رغب الشارع فيها، وجعلها من العادات المطلوبة، وأفردها فقهاء المذاهب بباب خاص لها هو باب الاعتكاف ذكروا فيه أحكامه وشروطه وآدابه، وثبت فى الصحيحين أن النبى ﷺ كان يعتكف فى العشر الاواخر من رمضان، فيلزم المسجد النبوى، ويعتزل نساءه، ويقبل على العبادة والذكر وتلاوة القرآن، ولا يخرج إلا لقضاء حاجة الإنسان، وفى سنن أبى داود بإسناد لا بأس به عن عائشة رضى الله عنها قالت : السنة على المعتكف أن لا يعود مريضاً ولا يشهد جنازة ولا يمس امرأة ولا يباشرها ولا يخرج لحاجة إلا لما لا بدله منه، فهذه هى الخلوة التى اتخذها الصوفية، وسموها تجريداً ، لأن المريد يتجرد من العلائق والعوائق وينقطع إلى الذكر والعبادة مدة



قد تطول وقد تقصر بحسب استعداده وما قسم له : لكنهم صرحوا مع ذلك بأن المرید إذا كان له عمل يتكسب به كالتجارة أو صناعة مثلاً، فلا ينبغي له تركه إلى الخلوة والتجريد، بل يبقى في عمله الذي أقامه الله فيه، ويتسطيع أن يذكر الله في حالته تلك وفي أوقات فراغه، ولهذا قال ابن عطاء الله في الحكم : إرادتك التجريد مع إقامة الله إياك في الأسباب من الشهوة الخفية ، وإرادتك الأسباب مع إقامة الله إياك في التجريد انحطاط عن الهمة العلية : ودليلهم على ذلك حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه قال : مر على النبي ﷺ رجل فرأى أصحاب رسول الله ﷺ من جلده ونشاطه، فقالوا يا رسول الله ! لو كان هذا في سبيل الله ، فقال رسول الله ﷺ « إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان » رواه الطبراني بإسناد صحيح : وقد كان في الصحابة أهل التجريد، وأصحاب الأسباب، أما أهل التجريد فهم أهل الصفة كانوا نحو سبعين صحابياً مقيمين بالمسجد النبوي لا أهل لهم ولا مال، وكان النبي ﷺ ينفق عليهم، واسمع إلى أبي هريرة يتحدث عن نفسه وعنهم - وهو أحدهم - فيقول : والذي لا إله إلا هو إن كنت لاعتمد بكبدى على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد الحجر على بطنى من الجوع، ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذى يخرجون منه فمر بى أبو بكر فسأله عن آية فى كتاب الله، ما سأله إلا ليشبعنى فلم يفعل، ثم مر عمر فسأله عن آية من كتاب الله، ما سأله إلا ليشبعنى، ثم مر أبو القاسم ﷺ فتبسّم حين رآنى وعرف ما فى وجهى وما فى نفسى، فقال « يا أبا هريرة » قلت : لبيك يا رسول الله قال « الحق » ومضى، فاتبعته فدخل فاستأذن، فأذن له فدخل فوجد لبنا فى قدح، فقال « من أين هذا اللبن » قالوا : أهده لك فلان أوفلانة، قال « يا أبا هريرة » قلت : لبيك يا رسول الله، قال : « الحق إلى أهل الصفة فادعهم لى »، قال : وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يلوون على أهل ولا مال ولا على أحد، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئاً، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها، فأتيتهم فدعوتهم، فأقبلوا واستأذنوا فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت، قال : « يا أبا هريرة » قلت : لبيك يا رسول الله، قال : « خذ فأعطهم » فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد على القدح حتى انتهيت إلى النبي ﷺ وقد روى القوم كلهم ، فأخذ القدح فوضعه

على يده، فتبسم فقال «يا أبا هريرة» قلت : لبيك يا رسول الله، قال «وبقيت أنا وأنت» قلت : صدقت يا رسول الله، قال «اقعد فاشرب» فشربت، فقال «اشرب» فشربت، فما زال يقول «اشرب» حتى قلت لا والذي بعثك بالحق لا أجد له مسلکا، قال «فارني» فأعطيته القدح، فحمد الله تعالى وسمى وشرب الفضلة «رواه البخاري وغيره. وجاء في حديث لأبي هريرة أن أهل الصفة كانوا سبعة من أصحابنا، قال الحافظ ابن حجر: وليس المراد حصرهم في هذا العدد، بل المراد عدتهم في أول الأمر، وإلا فمجموعهم أضعاف ذلك، وقد سرد أبو نعيم أسماءهم في أول الحلية فزادوا على المائة، وأما أصحاب الأسباب فمعظم الصحابة، فالأنصار كانوا أهل نخل وزرع، والمهاجرون أهل تجارة وفيهم الخلفاء الأربعة إلا عليا عليه السلام فإنه كان على حال النبي ﷺ من الزهد وترك الأسباب إلا في القليل النادر، ولذا كان من أوصافه اللازمة له لزوم الشجاعة والعلم، زهده.

### الفتوة

قال الأستاذ أبو القاسم الجنيد: الفتوة كف الأذى، وبذل الندي «وقال أبو القاسم القشيري: أصل الفتوة أن يكون العبد أبداً في أمر غيره، ونقل عن شيخه الأستاذ أبي بكر الدقاق أنه قال: هذا الخلق لا يكون كماله إلا لرسول الله ﷺ، فإن كل أحد في القيامة يقول: نفسي نفسي: وهو ﷺ يقول «أمتي أمتي»: ثم استدل القشيري لهذا الخلق بما رواه بإسناده عن أبي هريرة عن زيد بن ثابت عن رسول الله ﷺ قال «لا يزال الله في حاجة العبد مادام العبد في حاجة أخيه المسلم».

وهذا الحديث رواه الطبراني أيضاً بإسناد رجاله ثقات كما قال الحافظ المنذري، وفي صحيح مسلم والسنن الأربعة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال «من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر في الدنيا يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر على مسلم في الدنيا ستر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد (١) في عون أخيه» وفي الصحيحين عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يثلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم

(١) رواه عبد الغافر الفارسي في الأربعين بلفظ «مادام». (ف).

القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة : وهذا الخلق - أعنى الفتوة - مرجعه إلى سخاوة النفس ، وهو شرط في المريد كما قال جدنا العارف الكبير أبو العباس أحمد بن عَجِيبَةَ الحسنى في شرح المباحث الأصلية، فقد قالوا : من أقبح القبيح صوفى شحيح، ثم هو يشتمل على عدة معان « الأول » : الإيثار . وقد مدحه الله تعالى في كتابه الكريم بقوله ( ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ) وسبب نزول هذه الآية ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله أصابني الجهد : فبعث إلى نسائه فقلن : ما معنا إلا الماء، فقال رسول الله ﷺ « من يضم أو يضيف هذا؟ » فقال رجل من الأنصار : أنا، فانطلق به إلى امراته، فقال : أكرمى ضيف رسول الله ﷺ ، فقالت : ما عندنا إلا قوت صبياني، فقال هيئ طعامك وأصبحى سراجك ونومي صبياني إذا أرادوا عشاء، فهيأت طعامها وأصبحت سراجها ونومت صبيانها ثم قامت كأنها تصلح سراجها فاطفأته، فجعل يريانه كأنهما يأكلان فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ فقال « ضحك الله الليلة، أو عجب من فعالكما » فأنزل الله ( ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ) الرجل الذي اشتكى الجهد هو أبو هريرة والأنصارى الذي ضيفه هو أبو طلحة، وروى ابن مردويه في تفسيره عن ابن عمر : ( أهدى لرجل رأس شاة، فقال إن أخى وعياله أحوج منا إلى هذا، فبعث به إليه، فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر، حتى رجعت إلى الأول بعد سبعة فنزلت الآية، قال الحافظ ابن حجر : ويحتمل أن تكون نزلت بسبب ذلك كله )، اهـ ومن أروع مواقف الإيثار عند الصوفية ما حكاه الجلال المحلى في شرح جمع الجوامع فقال : ( ولا التفات لمن رماهم في جملة الصوفية بالزندقة عند خليفة السلطان حتى أمر بضرب أعناقهم، فأمسكوا إلا الجنيد فإنه تستر بالفقه وكان يفتى على مذهب أبي ثور شيخه، وبسط لهم النطع فتقدم من آخرهم أبو الحسن النورى للسياف فقال له : لم تقدمت؟ فقال : أوثر أصحابى بحياة ساعة، فبهت، وأنهى الخبر للخليفة، فردهم إلى القاضى فسأل النورى عن مسائل فقهية فأجابه عنها، ثم قال - أى النورى - : وبعد فإن الله عبادة إذا قاموا قاموا بالله وإذا نطقوا نطقوا بالله ، الخ كلامه فبكى القاضى وأرسل للخليفة يقول : إن كان هؤلاء زنادقة فما على وجه الأرض مسلم ، فخلى سبيلهم رحمهم الله ونفعنا بهم ) . اهـ والخليفة هو أبو الفضل جعفر المقتدر، والقاضى هو الإمام إسماعيل بن إسحق



## أحد أئمة المالكية .

(الثانى) هدية المرید إلى شيخه، ودليلها من القرآن والسنة، أما القرآن فقوله تعالى (يا أيها الذين ءامنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) الآية . قال على عليه السلام : لما نزلت هذه الآية قال لى النبى ﷺ «ماترى؟ أديناراً» قلت لا يطيقونه ، قال «فنصف دينار» قلت : لا يطيقونه قال «فكم؟» قلت شعيرة، قال «إنك لزهيد» قال فنزلت (أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) الآية ، قال : فبى خفف الله عن هذه الأمة، : رواه ابن جرير والترمذى وحسنه، وقوله : شعيرة، يعنى وزنها من ذهب، وقال على أيضا: إن فى كتاب الله لآية ما عمل بها أحد ولا يعمل بها أحد بعدى آية النجوى (يا أيها الذين ءامنوا إذا ناجيتم الرسول) الآية، قال : كان عندى دينار فبعته بعشرة دراهم فناجيت النبى ﷺ ، فكنت كلما ناجيته قدمت بين يدي نجواى درهما ثم نسخت فلم يعمل بها أحد فنزلت (أأشفقتم أن تقدموا) الآية، رواه الحاكم وصححه على شرط الشيخين وسلمه الذهبى، وروى الطبرانى عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال نزلت فى (يا أيها الذين ءامنوا إذا ناجيتم الرسول) الآية، فقدمت شعيرة، فقال رسول الله ﷺ «إنك لزهيد» فنزلت (أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) وفى سنده راو مختلف فيه، ويمكن الجمع بينه وبين الأول بأن كلا من على وسعد لم يطلع على قصة الآخر، فتكلم بحسب ما فى علمه وعن ابن عباس فى قوله تعالى (فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) وذلك أن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه، فأراد الله أن يخفف عن نبيه عليه السلام، فلما قال ذلك، جبن كثير من المسلمين وكفوا عن المسألة فأنزل الله بعد هذا (أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) الآية، فوسع الله عليهم ولم يضيق .

يؤخذ من هذا أن تقديم الصدقة عند مناجاة الرسول كانت واجبة ثم نسخت، وإذا نسخ وجوب شئ بقى استحبابه بل سنيته، كما فى صوم عاشوراء كان واجبا ثم نسخ برمضان فبقى سنة، وأما السنة فما ثبت بالتواتر فى قضايا متعددة أن الصحابة كانوا يهدون للنبي ﷺ ثيابا وطعاما وغيرهما، وكان يقبل هديتهم وتقدم قريبا حديث أبى هريرة فى أهل الصفة، وفيه :إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئا، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها ، وفى مسند أحمد بإسناد صحيح

عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ يقبل الهدية ولا يقبل الصدقة ، وفي المسند أيضاً بإسناد صحيح عن أبي هريرة قال : كان النبي ﷺ إذا أتى بطعام من غير أهله سأل عنه ، فإن قيل : هدية أكل ، وإن قيل صدقة قال « كلوا » ولم يأكل ، بل أمر عليه الصلاة والسلام بقبول الهدية ونهى عن ردها ، ففي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت عمر يقول كان رسول الله ﷺ يعطيني العطاء فأقول : أعطه من هو إليه أفقر مني ، فقال « خذه ، إذا جاءك من هذا المال شيء وأنت غير مشرف ولا سائل ، فخذ فتموله فإن شئت كله وإن شئت فتصدق به ، ومالا فلا تتبعه نفسك » قال سالم بن عبد الله : فلاجل ذلك كان عبد الله لا يسأل أحداً شيئاً ولا يرد شيئاً أعطيه ، وفي المسند بإسناد رجال ثقات عن المطلب بن عبد الله بن حنطب قال : أهدى عبد الله بن عامر إلى عائشة رضي الله عنها نفقة وكسوة ، فقالت للرسول : أي بني لا أقبل من أحد شيئاً ، فلما خرج الرسول قالت ردوه علي ، فردوه فقالت : إني ذكرت شيئاً ، قال لي رسول الله ﷺ : « يا عائشة من أعطاك عطاء بغير مسألة فأقبله ، فانما هو رزق عرضه الله عليك » وفي المسند أيضاً بإسناد صحيح عن أم سلمة رضي الله عنها أن امرأة أهدت إليها رجل شاه تصدق بها عليها - أي على المرأة - فأمرها النبي ﷺ أن تقبلها وفي المسند أيضاً بإسناد صحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « من آتاه الله من هذا المال شيئاً من غير أن يسأله فليقبله فانما هو رزق ساقه الله إليه » فهذه الأدلة المتعددة وغيرها مما لم نذكره اختصاراً مستند شيوخ الصوفية - على ممر الزمان - في قبول هدايا المريدين من نقود و ثياب وطعام وغير ذلك ، ثم هم ينفقونها على الزوار في البيت أو الزاوية فتكون منفعتها عامة ، وبذلك يعظم ثواب المهدي ويكثر أجره ، أضف إلى ذلك أن الهدية - وإن قلت قيمتها - توجد محبة ومودة بين المهدي والمهدي إليه ، كما قال ﷺ « تهادوا تحابوا » رواه أبو يعلى عن أبي هريرة بإسناد جيد ، وله طرق ، ولا شك أن المريد إنما ينتفع في السلوك على قدر حب شيخه له وعنايته به ، بل كل طالب علم من العلوم لا يدرك من العلم غايته ، إلا بقدر حب استاذه له ، وعنايته بتعليمه ، ومن الحكم السائرة : « من عرف ما طلب ، هان عليه ما بذل » .

« الثالث » : الضيافة ، والأحاديث في الأمر بها والحض عليها كثيرة بالغة حد التواتر المعنوي ، ويكفي حديث الصحيحين « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » وقد جعلها الظاهرية فرضاً على الحضري والبدوي والفقيه والجاهل ، والجمهور على أنها

سنة مرغب فيها وهى من مكارم الاخلاق ومحاسن الشيم، والصوفية - خصوصاً الشاذلية - فى القيام بحقها القدر المعلى ، فزوايا الشاذلية فى مدن المغرب وقراه معدة لاستقبال الضيوف ، لا ينزل بها غريب إلا لقي أهلاً يكرمونه ويتحفونه، وإن كان فى حاجة إلى مساعدة مدوه بها وذلك بأن يجمع مقدم الزاوية من الفقراء - الدراويش - مبلغاً من المال يقدمه للضيف عند سفره، وإن كان من أهل الطريق، أو ذوى الفضل والعلم تسابقوا إلى إكرامه فى بيوتهم، ومهاداته بما يليق به، والمقصود أن الزوايا عندنا أشبه بالفنادق العامة المعدة لاستقبال النزلاء، إلا أنها لا تأخذ أجراً، بل تساعد من يرجو المعونة، وتهادى من يستحق التكريم، هذا إلى ما يقوم به أصحابها من عبادة المرضى وتشجيع الجنائز، وإقامة حفلات للمولد النبوى الشريف تكون خيراً وبراً للمساكين والضعفاء بما يتناولون من طعام وصدقات، هذا بعض فضل التصوف ومزاياه فى القطر المراكشى ، قبل أن تكثر فيه النزعة الوهابية، مع ابتلائه بالأحزاب السياسية التى فرقت بين أهله وجعلتهم شيعاً وفرقاً، وبثت فيه جرثومة التحلل من الأخلاق والدين، نسال الله اللطف والسلامة.

«الرابع» : صلة الإخوان والأقارب وغيرهم بمختلف أنواع الصلوات للمادية والأدبية، وفى ذلك أحاديث كثيرة تفوق الحصر، منها ما تقدم قريباً، ومنها ما فى أوسط معاجم الطبرانى عن عمر عن النبى ﷺ «أفضل الأعمال إدخال السرور على المؤمن، كسوت عورته أو أشبعت جوعته، أو قضيت له حاجته» ورواه أبو الشيخ من حديث ابن عمر ولفظه «أحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تطرد عنه جوعاً، أو تقضى عنه ديناً» وله طرق وألفاظ متعددة، وأهل التصوف مضرب المثل فى التواصل والتعاون ، ومساعدة أصحاب الحوائج فى قضائها، وكان النبى ﷺ عناهم بقوله «إن لله خلقاً خلقهم لحوائج الناس، يفرغ الناس إليهم فى حوائجهم، أولئك الآمنون من عذاب الله» رواه الطبرانى من حديث ابن عمر، وله طرق، ومن أخذ من هذا الخلق بالخط الأوفر مولانا الشيخ الإمام الوالد رضى الله عنه فقد كان لا يمر عليه يوم دون أن يقضى ديناً عن مدين، أو يدفع أجرة عن شخص تأخر فى دفع الإيجار، أو يكسو فقيراً ليس عنده ثياب، وإذا كان له أولاد كساهم معه، أو يصلح بين متخاصمين طالت خصومتهم واشتد عداؤهما فيدعهم أخوين متحابين، أو يشفع عند الحاكم فى مظلوم، على أن يبعث رسولا من طرفه فما مشى إلى حاكم قط، ولقد أنقذ بشفاعته



شخصاً من الإعدام حكمت به عليه الحكومة الأسبانية الغاشمة لاتهامه بتدبير مؤامرة لقلب نظام الحكم، ويتعاهد بيوتاً كثيرة في الأعياد والمناسبات كزكاة الفطر واللحم في عيد الأضحى وغير ذلك، أما تصدقه بالثياب التي عليه وعوده في البيت حتى يتيسر له غيرها فقد حصل منه مرات عديدة حتى كان بعض الإخوان ممن له عليه دالة يعتب عليه في ذلك فيظهر له من الثقة بالله والتوكل عليه ما يحمله على تشجيع الشيخ في الاستزادة من التصدق والإعطاء.

هذه أخلاق الصوفية كما شاهدناها عياناً، وقرأنا عنها في كتب التراجم والطبقات، فاذا وجد في شيوخ الطريقة من هو على ضد هذه الخصال، فهو دعى دخيل، والتصوف برئ منه ومن أمثاله، ويجب هنا أن نعرض لرد مسألة طالما تشدق بها المنتقدون للتصوف، ذلك أنهم يزعمون أن الصوفية أصحاب كسل وخمول وتواكل، وأن الإسلام يدعو إلى العمل والكسب والسعى في طلب الرزق، وهذا كلام من قصر نظره على الجانب المادى الضيق المحدود، وانصرف عن الجانب الروحى الواسع الشامل، مع أن الإسلام راعى الجانبين، وأعطى لكل منهما حظه من العناية والاعتبار، بل غلب الجانب الروحى لأنه أعم وأبقى، وأسباب الرزق كما تكون مادية للعوام كالتجارة والصناعة مثلاً، تكون روحية لخواص كالصلاة والتقوى، قال تعالى ( وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً نحن نرزقك ) وقال ( ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ).

وقال ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ۝ (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً ۝ (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً ۝ (١٢) ﴾ [نوح: ١٠-١٢] وتقدم أن أهل الصفة كانوا أكثر من مائة، لا أهل لهم ولا مال، وكان النبی ﷺ ينفق عليهم، ولم يقل لهم : تكسبوا واسعوا على رزقكم بالتجارة وغيرها، نعم لم يقل لهم هذا أصلاً، بل دافع الله تعالى عنهم، حين قال المنافقون في حقهم ( لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ) فرد الله عليهم بقوله ( والله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون ) وهذا شرف عظيم لأهل الصفة، ينطوى على التنوية بما كانوا عليه من الانقطاع للعبادة والتفرغ لها، أما مارواه أبو داود في مراسيله عن أبي قلابة أن ناساً من الصحابة قدموا يثنون على صاحب لهم خيراً، قالوا : مارأينا مثل فلان قط، ما كان في مسير إلا كان في

قراءة ولا نزلنا منزلاً إلا كان في صلاة. قال رسول الله ﷺ «فمن كان يكفيه ضيعته؟» حتى ذكروا من كان يعلف جملة أو دابته؟ قالوا: نحن، قال «فكلكم خير منه»، فهو حديث ضعيف؛ لأنه مرسل، وعلى فرض صحته فهو محمول على أن ذلك الشخص كان يستخدم غيره في شئونه الخاصة به كعلف دابته، وتهيئة مكان نومه، وإعداد طعامه، ونحو ذلك كما هو صريح الحديث، وليس من المروءة أن يستخدم الشخص غيره في مثل ذلك، بل يقوم هو بنفسه بإعداده لا سيما في السفر المبني على التعاون التام، ألا ترى إلى النبي ﷺ حين أراد الصحابة - وكانوا معه في سفر - أن يطبخوا طعاماً لغدائهم، وتعهّد بعضهم بذبح الشاة، وآخر بسقى الماء، فتعهّد هو ﷺ بجمع الحطب، فقال الصحابة: نكفيك هذا يا رسول الله، قال «علمت أنكم تكفوني ذلك ولكن كرهت أن أتميز عنكم» أو كما قال، وهذا من كمال المروءة، وآداب الصحبة والمعاشرة، وهو بمعزل عما نحن فيه، فالذين يستدلون بذلك الحديث المرسل على الكسب والسعي مخطئون في فهمه، مع غفلتهم عن ضعفه، ومما يؤيد ما نقول حديث أنس قال: كان أخوان على عهد النبي ﷺ، فكان أحدهما يأتي النبي ﷺ، والآخر يحترف فشكا المحترف أخاه إلى النبي ﷺ، فقال «لعلك ترزق به» رواه الترمذی، صححه الحاكم وسلمه، فالنبي ﷺ أخبر الأخ المحترف بأن الله يرزقه ببركة إنفاقه على أخيه المتفرغ للعبادة وملازمة الرسول وليس بعد بيان الله ورسوله بيان (١).

### الأولياء

قال الله تعالى ( أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ) [يونس: ٦٢-٦٤]. قال الزمخشري في الكشف: الولي من تولى الله بالطاعة، فتولاه الله بالكرامة، وقال السعدفي شرح العقائد النسفية، والجلال المحلى في شرح جميع الجوامع: الولي العارف بالله حسبما

(١) بل الحال المثلى في الإسلام: أن يُجمع بين الكسب والعبادة، إذ هو مقام المصطفى - صلى الله عليه وآله وسلم - وأصحابه، وكذلك هو حال رسل الله الكرام - عليهم الصلاة والسلام - وهم أفضل الخلق لا محالة، وما زال المحققون من العلماء يفتون بذلك ترويحاً للنفس وتنشيطاً لها على العبادة، على أن الكسب في الحقيقة ما هو إلا عبادة لله تعالى، وإلا لما اعتبره النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - جهاداً، ينال به المسلم رضى الله وغفرانه، وللإمام السرخسى - رحمه الله تعالى - كتاب حسن في الكسب ضمنه تحقيق هذه المسألة، فليرجع إليه ولغيره من الكتب من أراد تحقيق المسألة. والله الموفق.

يمكن ، المواظب على الطاعات المجتنب للمعاصي ، المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات ، وقيل : الولي من يحب أخاه المؤمن لا يحبه إلا الله ، وقيل : غير ذلك ؟

وهذه الأقوال - وإن كانت في الظاهر مختلفة - فهي في الحقيقة متفقة ، إذ ما من ولي إلا وهو متصف بما ذكر فيها من الصفات ، ومتسم بغيرها من كريم الخلال والسمات ، وجاءت الأحاديث في هذا الباب مختلفة كاختلاف الأقوال وذلك محمول على اختلاف الأحوال ، مع قصد الشارع الحض على أنواع من فضائل الأعمال ، ونحن نورد منها ما تيسر :

١ - عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ وآله وسلم « إن الله تعالى قال : من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب » الحديث ، وتقدم أول الكتاب .

٢ - عن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن من عباد الله ناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى » قالوا : يا رسول الله ، فخيرنا من هم ؟ قال « هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ، ولا أموال يتعاطونها فوالله إن وجوههم لنور ، وإنهم لعلى نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس » ثم قرأ ( ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ) . رواه أبو داود في سننه ، وروى النسائي نحوه عن أبي هريرة ، وله طرق كثيرة .

٣ - عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « ثلاث من كن فيه استحق ولاية الله : حلم أصيل يدفع به سفه السفية عن نفسه ، وورع صادق يحجزه عن معاصي الله ، وخلق حسن يدارى به الناس » رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء .

٤ - عن عمرو بن الجموح رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « لا يجد العبد صريح الإيمان حتى يحب لله تعالى ويبغض لله ، فاذا أحب لله تبارك وتعالى وأبغض لله فقد استحق الولاية لله » رواه أحمد في المسند .

٥ - عن ابن عباس قال : سئل رسول الله ﷺ من هم أولياء الله ؟ قال « هم الذين يذكر الله عند رؤيتهم » رواه النسائي والبخاري ، ورواه ابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا وغيرهما عن سعيد بن جبيرة مرسلًا وله طرق ، منها عن أنس قال قالوا : أيننا أفضل ؟ كي نتخذه جليسا معلما ، قال « الذي إذا رأى ذكر الله برؤيته » رواه الحكيم الترمذي .



٦ - عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « ما جيل ولي الله عز وجل إلا على السخاء وحسن الخلق » رواه أبو الشيخ ابن حيان في كتاب الثواب .

٧ - عن أبي البراء رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « قال الله تعالى : حققت محبتي للمتحابين في ، وحققت محبتي للمتزاورين في ، وحققت محبتي للمتجالسين في ، الذين يعمرن مساجدي بذكرى ، ويعلمون الناس الخير ، ويدعونهم إلى طاعتي ، أولئك أوليائي الذين أظلمهم في ظل عرشي ، وأسكنهم في جوارى ، وأؤمنهم من عذابي وأدخلهم الجنة قبل الناس بخمسمائة عام ، يتنعمون فيها وهم خالدون » ثم قرأ نبي الله ﷺ ( ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ) رواه ابن مردويه في تفسيره .

٨ - عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « يقول الله تعالى انما اتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي ولم يتعظم على خلقي ، وكف نفسه عن الشهوات ابتغاء مرضاتي ، فقطع نهاره في ذكرى ، ولم يبت مصراً على خطيئته يطعم الجائع ، ويكسو العارى ، ويرحم الضعيف ، ويؤوى الغريب ، فذاك الذي يضي وجهه كما يضي نور الشمس ، يدعوني فآلبي ، ويسألني فاعطي ، ويقسم على فأبر قسمه ، أجعل له في الجاهالة علماً ، وفي الظلمة نوراً ، أكلاه بقوتي ، واستحفظه ملائكتي » رواه أبو نعيم في الحلية والبخاري بنحوه ، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة ، يستخلص الباحث من مجموعها أن الولي من تولى الله بأنواع القربات ، فتولاه الله بأنواع المواهب والمكرمات ، ونلحق بالأحاديث السابقة أثراً جامعاً في وصف الأولياء ، رواه أحمد في الزهد ، وابن أبي حاتم في التفسير ، وأبو الشيخ عن وهب بن منبه قال : قال الحواريون : يا عيسى من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ؟ قال عيسى - عليه السلام - : الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها ، والذين نظروا إلى آجل الدنيا حين نظر الناس إلى عاجلها ، وأماتوا منها ما يخشون أن يميتهم ، وتركوا منها ما علموا أن سيتركهم ، فصار استكثارهم منها استقلالاً ، وذكرهم إياهم فواتاً ، وفرحهم بما أصابوا منها حزناً ، وما عارضهم من نائلها رفضوه ، وما عارضهم من رفعتها بغير الحق وضعوه ، بليت الدنيا عندهم فليس يجددونها ، وخربت بينهم فليس يعمرونها ، وماتت في صدورهم فليس يحيونها ، يهدمونها فيبنون بها آخرتهم ، ويبيعونها فيشترون بها ما يبقى لهم ، ويرفضونها فكانوا برفضها

هم الفرحين، وباعوها فكانوا يبيعها هم المربحين، ونظروا إلى أهلها صرعى، قد خلت فيهم المثلات، فأحبوا ذكر الموت وتركوا ذكر الحياة، يحبون الله تعالى ويستضيئون بنوره ويضيئون به، لهم خبر عجيب، وعندهم الخير العجيب، بهم قام الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا، وبهم علم الكتاب وبه علموا، ليسوا يرون أثلاً مع ما نالوا، ولا أمانى دون ما يرجون، ولا خوفاً دون ما يحذرون.

### الأبدال

وهم طائفة من الأولياء يسمون بهذا الاسم، وقد وردت أحاديث وآثار في تسميتهم ووصفهم وعلاماتهم وأماكن وجودهم، أفردتها الحافظ السيوطي برسالة خاصة سماها «الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال»<sup>(١)</sup>، قال في خطبتها: وبعد فقد بلغني عن بعض من لا علم عنده إنكار ما اشتهر عن السادة الأولياء من أن منهم أبدالاً ونقباء ونجباء وأوتاداً وأقطاباً، وقد وردت الأحاديث والآثار باثبات ذلك، فجمعتها في هذا الجزء لتستفاد، ولا يعول على إنكار أهل العناد، ولو فرض أنه لم يرد في ذلك حديث ولا أثر، وكان مجرد اصطلاح تواطأ عليه الصوفية لما صح إنكاره، لأن كل طائفة من طوائف العلماء كالفقهاء والأصوليين والنحاة والمناطق وأهل المعاني اصطلاحوا على ألفاظ لها معاني خاصة يتفاهمون بها فيما بينهم ودونوها في كتبهم، وصارت جزءاً من علومهم، ولم يعترض عليهم أحد في ذلك. فما وجه تخصيص الصوفية بالاعتراض؟! على أن لفظ الأبدال اشتهر في عهد السلف، ووصف به جماعة من الأئمة، قال الحافظ السخاوي في المقاصد الحسنة - بعد أن تكلم على بعض طرق حديث الأبدال - : وما يتقوى به الحديث ويدل لانتشاره بين الأئمة قول إمامنا الشافعي - في بعضهم - : كنا نعهده من الأبدال، وقول البخاري في غيره : كانوا لا يشكون أنه من الأبدال، وكذا وصف غيرهما من النقاد والحفاظ والأئمة غير واحد بأنه من الأبدال، ونقل عن يزيد بن هارون - أحد الحفاظ - قال : الأبدال هم أهل العلم، وعن الإمام أحمد : إن لم يكونوا

(١) وهي موجودة في الحاوي، وطبعت مفردة في مكتبة القاهرة الأزهر وعليها تعليقات مؤلفنا الشيخ عبد الله الغماري - رحمه الله تعالى - وكل كلام الشيخ عن الأبدال هنا مأخوذ من هذه الرسالة، وأما عن تصحيحه لأحاديث الأبدال ففيه بحث واسع لا يتسع له المقام، والأئمة ابن الجوزي وابن عراق والشوكاني وغيرهم أوردوا كثيراً منها في مؤلفاتهم حاكمين عليها بالوضع. فتنبه!!

أصحاب الحديث فمن هم؟ ومن وصف بأنه من الأبدال : الحسن البصري، وحماد بن سلمة، وأبو توبة الحلبي شيخ أحمد بن حنبل، والإمام الشافعي، ومحمد بن واسع، وحسان بن أبي سنان، ومالك بن دينار، ووکیع بن الجراح، وخالد بن معدان، وغيرهم كثير تجد تراجمهم في كتب الرجال وطبقات الحفاظ، ومن راجع تذكرة الحفاظ للذهبي، وتهذيب التهذيب لأبن حجر، وجد فيها كثيراً من الحفاظ وصفوا بالبديلة، وبعد هذا فاستمع إلى بعض الأحاديث في هذا الموضوع:

١ - عن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي ﷺ « يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من المدينة هارباً إلى مكة، فيأتيه ناس من أهل مكة، فيخرجونه وهو كاره فيبأيعون بين الركن والمقام، ويبعث إليه بعث من الشام، فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة، فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال أهل الشام وعصائب أهل العراق، الحديث، رواه أبو داود وأحمد وابن أبي شيبة وأبو يعلى والحاكم والبيهقي وهو حديث صحيح.

٢ - عن شريح بن عبيد قال : ذكر أهل الشام عند علي بن أبي طالب عليه السلام - وهو بالعراق - فقالوا : العنهم يا أمير المؤمنين، قال : لا ، سمعت رسول الله ﷺ يقول « الأبدال بالشام وهم أربعون رجلاً، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً، يسقى بهم الغيث، وينتصر بهم على الأعداء، ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب » رواه أحمد بإسناد صحيح إلا أن فيه انقطاعاً بين شريح وعلي<sup>(١)</sup>، ورواه الحسن بن عرفة وابن عساكر عن شريح أيضاً قال : ذكر أهل الشام عند علي عليه السلام فقالوا : يا أمير المؤمنين العنهم! فقال : لا ، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان الأبدال بالشام يكونون، وهم أربعون رجلاً، بهم تسقون الغيث، وبهم تنصرون على أعدائكم، ويصرف عن أهل الأرض البلاء والفرق » وفي المستدرک عن عبد الله ابن زريق الغافقي أنه سمع علياً يقول : لا تسبوا أهل الشام فإن فيهم الأبدال، وسبوا ظلمتهم، صححه الحاكم وسلمه الذهبي، والآثار عن علي عليه السلام في الأبدال كثيرة واردة بطرق متعددة، وهي مرفوعة حكماً لأنها لا مجال للرأي فيه.

٣ - عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لن تخلو الأرض من أربعين رجلاً

(١) علي أن شريحاً سمع من المقداد وهو أقدم من علي، قاله الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (ف).



مثل خليل الرحمن، فبهم تسقون وبهم تنصرون، ما مات منهم أحد إلا أبدل الله مكانه آخر، قال سعيد : وسمعت قتادة يقول : لسنا نشك أن الحسن - البصري - منهم، رواه الطبراني في الأوسط، قال الحافظ الهيثمي : إسناده حسن.

٤ - عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « الأبدال في هذه الأمة ثلاثون مثل خليل الرحمن عز وجل، كلما مات رجل أبدل الله تعالى مكانه رجلاً » رواه أحمد، وهو حديث حسن، وفي مسند البزار ومعجم الطبراني عنه أيضاً قال قال رسول الله ﷺ « لا يزال في أمتي ثلاثون بهم تقوم الأرض، وبهم تمطرون، وبهم تنصرون » قال قتادة : إني أرجو أن يكون الحسن منهم، وقوله في هذا الحديث « ثلاثون » لا ينافي أنهم أربعون كما في الأحاديث الكثيرة، لأن العدد لا مفهوم له، أو أخبر أنهم ثلاثون ثم أعلمه الله بزيادتهم إلى أربعين.

٥ - عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « خيار أمتي في كل قرن خمسمائة والأبدال أربعون، فلا الخمسمائة ينقصون، ولا الأربعون، كلما مات رجل أبدل الله من الخمسمائة مكانه، وأدخل من الأربعين مكانهم » قالوا : يا رسول الله دلنا على أعمالهم، قال « يعفون عمن ظلمهم، ويحسنون إلى من أساء إليهم، ويتواسون فيما آتاهم الله » رواه الطبراني وأبو نعيم وتمام وابن عساكر، وروى الخلال في كرامات الأولياء عنه أيضاً قال : قال رسول الله ﷺ « لا يزال أربعون رجلاً يحفظ الله بهم الأرض، كلما مات رجل أبدل الله مكانه آخر، وهم في الأرض كلها » وهذان الحديثان وإن كانا ضعيفين فهما مؤيدان بالأحاديث السابقة وغيرها.

### بم استحق الأبدال تلك الرتبة؟

رتبة البدلية من الرتب العزيزة، لاتنال إلا بشروط بينها الأحاديث والآثار، فإذا ادعى شخص أنه من الأبدال، أو ادعى فيه ذلك، وكان خلواً من تلك الشروط علمنا أن دعواه باطلة، وعرفنا أنه من جملة الدخلاء الذين شوهوا التصوف وأهله بما اقترفوا من آثام، فمن شروط الأبدال ما تقدم قريباً : أنهم يعفون عمن ظلمهم، ويحسنون إلى من أساء إليهم، ويتواسون فيما آتاهم الله تعالى، وهذه صفات عزيزة قل من يتخلق بها، ومن شروطهم ما جاء في حديث عن علي عليه السلام قال : سألت رسول الله ﷺ عن

الأبدال؟ قال «هم ستون رجلاً» فقلت : يا رسول الله حلهم لى، قال « ليسوا بالمتنطعين ولا بالمبتدعين ولا بالمتعمقين، لم ينالوا ما نالوا بكثرة صلاة ولا صيام ولا صدقة، ولكن بسخاء الأنفس، وسلامة القلوب والنصيحة لأئمتهم» رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الأولياء، والحلال فى كرامات الأولياء، وزاد فى رواية أخرى «إنهم يا على فى أمتى أقل من الكبريت الأحمر» وجاء فى حديث أنس عن النبى ﷺ قال «إن دعامة أمتى عصب اليمن وأبدال الشام وهم أربعون رجلاً كلما مات رجل أبدل الله مكانه آخر، ليسوا بالمتماوتين ولا بالمتهاالكون ولا المتناوشين، لم يبلغوا ما بلغوا بكثرة صوم ولا صلاة، وإنما بلغوا ذلك بالسخاء وصحة القلوب والمناصحة لجميع المسلمين» وورد عن الحسن البصرى قال : قال رسول الله ﷺ «إن بدلاء أمتى لم يدخلوا الجنة بكثرة صوم ولا صلاة، ولكن دخلوها برحمة الله وسلامة الصدور وسخاوة الأنفس والرحمة بجميع المسلمين» رواه الحكيم الترمذى والبيهقى فى شعب الإيمان وغيرهما. وروى ابن أبى الدنيا فى كتاب الأولياء عن بكر ابن خنيس رفعه «علامة أبدال أمتى أنهم لا يلعنون شيئاً أبداً» فالمبتدعة ومن على شاكلتهم من المتنطعين والمتعمقين والمتزمتين لا نصيب لهم فى رتبة البدلية، وكذلك المتماوتون المتهاالكون الذين يتكلفون السمات والوقار. نعم، ولا ينالها اللعانون الطعانون، سفهاء اللسان، خبثاء القلب، ولذا قال الحارث ابن حومل لرجاء بن حيوة - وهما تابعيان - : يارجاء اذكر لى رجلين صالحين من أهل بيسان - بلد بالشام - فانه بلغنى أن الله تعالى اختص أهل بيسان برجلين صالحين من الأبدال، لا يموت واحد إلا أبدل الله مكانه واحداً، ولا تذكر لى مهما متماوتاً ولا طعاناً على الأئمة فإنه لا يكون منهما الأبدال، رواه ابن عساكر وغيره، فالأبدال أسخياء سمحاء، سليمو الصدور لا يحملون حقداً ولا غشا، أعفاء اللسان لا يلعنون ولا يسبون وهم - إلى جانب هذا - إيجابيون فى الحياة، يرحمون المسلمين، وينصخونهم ويسعون فى إيصال الخير لهم، وبركاتهم وتوجهاتهم ينزل الغيث، ويكشف الكرب، ويحصل النصر على الأعداء، لا جرم إن كان انقراضهم فى آخر الزمان إيذاناً بانقراض الخير، وانتهاء الدنيا، كما جاء فى حديث عن أنس مرفوعاً «فإذا جاء الأمر قبضوا كلهم فعند ذلك تقوم الساعة» رواه الترمذى الحكيم وابن شاهين وابن عدى وغيرهم.

### «النجباء والنقباء والأوتاد والغوث» (١)

هذه رتب في الولاية اصطلاح عليها الصوفية، وهي مأخوذة عن سلف الأمة وأئمتها، فمن أبي الطفيل - وهو صحابي - عن علي عليه السلام قال: الأبدال بالشام، والنجباء بالكوفة، رواه ابن عساكر، وروى عنه أيضا قال: الأبدال من الشام والنجباء من أهل مصر، والأخيار من أهل العراق، وروى ابن عساكر أيضا عن أحمد بن أبي الخوارى قال: سمعت أبا سليمان يقول: الأبدال بالشام، والنجباء بمصر، والعصب باليمن، والأخيار بالعراق، وروى هو والخطيب البغدادي عن الكتاني قال: النقباء ثلاثمائة، والنجباء سبعون، والبدلاء أربعون، والأخيار سبعة، والعمد أربعة، والغوث واحد، فمسكن النقباء المغرب، ومسكن النجباء مصر، ومسكن الأبدال الشام، والأخيار سياحون في الأرض، والعمد في زوايا الأرض، ومسكن الغوث مكة، فاذا عرضت الحاجة من أمر العامة ابتهل فيها النقباء ثم النجباء ثم الأبدال ثم الأخيار ثم العمد، فإن أجيبوا وإلا ابتهل الغوث فلا تتم مسألته حتى تجاب دعوته، العمد بضم العين والميم هم الأقطاب، وهم أربعة في كل وقت، والعصب بضم العين وفتح الصاد، ويقال: عصائب كما تقدم في حديث أم سلمة، طائفة من الزهاد كما في النهاية وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا أبو حاتم الرازي - الإمام العلم - حدثنا عثمان بن مطيع حدثنا سفيان بن عيينة قال: قال أبو الزناد - أحد شيوخ الإمام مالك - : لما ذهبت النبوة - وكانوا أوتاد الأرض - خلف الله مكانهم - يغنى الأنبياء - أربعين رجلا من أمة محمد ﷺ، يقال لهم الأبدال لا يموت الرجل منهم حتى ينشئ الله مكانه آخر يخلفه، وهم أوتاد الأرض، قلوب ثلاثين منهم على مثل يقين إبراهيم عليه السلام، لم يفضلوا الناس بكثرة الصلاة ولا بكثرة الصيام، ولا بحسن التخشع ولا بحسن الحلية، ولكن بصدق الورع، وحسن النية، وسلامة القلوب، والنصيحة لجميع المسلمين ابتغاء مرضاة الله، بصبر حلیم، ولب رحيم، وتواضع في غير مذلة، لا يلعنون أحدا، ولا يؤذون أحدا، ولا يتناولون على

(١) الأحاديث المذكورة تحت هذا العنوان أحاديث واهية وموضوعة، لا يجوز عند أهل الحديث روايتها إلا لبيان وضعها فكيف بالمؤلف - رحمه الله تعالى - يذكرها محتجا بها.

ثم أعلم أنه ليس لاحد من الناس أن يعترض على الصوفية ما اصطالحوا عليه، إذ لأهل كل فن أن يصطلحوا على ما شاءوا ما دامت المعاني صحيحة موافقة لأصل الشرع، لأنه لا تأثير للالفاظ عند اتحاد المدلول.



أحد تحتهم ولا يحقرونه، ولا يحسدون أحداً فوقهم، ليسوا بمتخشين ولا متماوتين ولا معجبين، لا يحبون للقاء، ولا يحبون الدنيا، ليسوا اليوم في وحشة، ولا غداً في غفلة.

## الكرامات

اتفق أهل السنة على إثبات الكرامات وأن الله يخصص بها بعض أوليائه، للدلالة الدالة على وقوعها في الكتاب الكريم والسنة الصحيحة بل المتواترة، قال الإمام أبو الحسن الأشعري - إمام الأشاعرة - في كتاب «مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين»: جملة ما عليه أهل الحديث وأهل السنة الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله، وما جاء من عند الله، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ، لا يردون من ذلك شيئاً، وذكر العقيدة إلى أن قال: وأن الصالحين قد يجوز أن يخصصهم الله تعالى بآيات تظهر عليهم، وقال في آخر العقيدة: فهذه جملة ما يأمر به، ويستعملونه ويرونه، وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول، وإليه نذهب، ونقله الحافظ ابن القيم في كتابه «حادي الأوراح إلى بلاد الأفراح» وقال الإمام الحافظ القدوة محيي الدين النووي في كتابه «بستان العارفين»: اعلم أن مذهب أهل الحق إثبات كرامات الأولياء، وأنها واقعة موجودة مستمرة في الأعصار، ويدل عليها دلائل العقول، وصرائح النقول، أما دلائل العقل فهي أمر يمكن حدوثه، ولا يؤدي وقوعه إلى رفع أصل من أصول الدين، فيجب وصف الله تعالى بالقدرة عليه، وما كان مقدوراً كان جائز الوقوع، وأما النقول فأيات في القرآن العظيم، وأحاديث مستفيضة. وفي شرح المقاصد لسعد الدين التفتازاني: ظهور كرامات الأولياء، تكاد تلحق بمعجزات الأنبياء، وإنكارها ليس بعجيب من أهل البدع والأهواء، وإنما العجب من بعض فقهاء السنة حيث قال فيما روى عن إبراهيم بن أدهم أنهم رأوه بالبصرة يوم التروية، وفي ذلك اليوم بمكة - : أن من اعتقد جواز ذلك يكفر، والإنصاف ما ذكره الإمام النسفي حين سئل عما يحكى أن الكعبة كانت تزور أحداً من الأولياء، هل يجوز القول به؟ فقال: نقض العادة على سبيل الكرامة لأهل الولاية جائز عند أهل السنة، وليت شعري ماذا كان يقول ذلك الفقيه المتسرع إلى الإكفار لو رأى مخترعات اليوم، وشاهد الطائفة تنقل الشخص في بضع ساعات مسافات كانت تقطع في شهور، فإذا

كان العلم وصل إلى هذا وأكثر منه فكيف نستبعده على قدرة الله تعالى !!؟ ومما يعاب على فقهاء الحنفية تسرعهم إلى الإكفار لأسباب بعيدة عن الكفر، ومن قرأ باب الردة في كتبهم رأى العجب !! من ذلك قولهم من صغر عمامة العالم فقال عميمة فانه يكفر !! لأنه صغر ما عظم الله !! ومما ثبت بالشهرة ما حكاه العلامة أحمد بابا التنبكتي المالكي في «نيل الابتهاج بتطريز الديباج» عن الشيخ عبد الخالق التونسي عن شيخه شعيب بن الحسن الأندلسي الشهير بابي مدين الغوث - وهو شيخ ابن العربي الحاتمي - قال سمعت أن رجلا يسمى موسى الطيار يطير في الهواء، ويمشي على الماء، وكان رجل يأتيني عند طلوع الفجر فيسألني عن مسائل الناس، فوقع لي ليلة أنه موسى الطيار الذي أسمع به، فلما طلع الفجر نقر الباب رجل فإذا هو الذي يسألني، فقلت له : أنت موسى الطيار، قال نعم، ثم سألني وانصرف، ثم جاءني مع آخر، فقال لي : صليت الصبح ببغداد، وقد منا مكة فوجدناهم في الصبح فأعدنا معهم وبقينا في مكة حتى صلينا الظهر فجئنا القدس، فوجدناهم في الظهر، فقال صاحبي هذا : نعيد معهم فقلت : لا فقال : ولم أعدنا الصبح بمكة؟ فقلت له : كذلك كان شيخى يفعل، وبه أمرنا، فاختلفنا قال أبو مدين : فقلت لهم : أما إعادة الصبح بمكة فأنها عين اليقين، وببغداد علم اليقين، وعين اليقين أقوى من علم اليقين، وصلاتكم بمكة وهي أم القرى فلا تعاد في غيرها، قال : ففنعنا به وانصرفا.

والمقصود أن كرامات الأولياء أجمع على إثباتها علماء السنة، ووافقهم من المعتزلة أبو الحسين البصري، وقد أفرد هذا الموضوع بالمؤلفات الكثيرة، وكتابنا «الحجج البينات في إثبات الكرامات» مهم جداً ينبغي مراجعته، ففيه ما لا يوجد في غيره، مع تخريج الأسانيد، وتوخى الصحة بغاية الدقة ونشير هنا إلى بعض الأدلة توفية للبحث حقه.

١ - الأمر الخارق للعادة إن ظهر على يد مدعى النبوة فاما أن يكون قبل النبوة أو بعدها، فإن كان قبلها كشق صدره الشريف، وإظلال الغمامة له في مسيره إلى الشام، سمي إرهابا وإن كان بعدها فإما أن يكون مصحوبا بالتحدي كالقرآن وانشقاق القمر، فيسمى معجزة. وإما أن يكون غير مصحوب بالتحدي كحنين الجذع ونبع الماء من الأصابع الشريفة، فيسمى آية، وإن ظهر الخارق للعادة على يد مدعى النبوة بخلاف

مراده سمي إهانة، مثل ما روى أن مسيلمه الكذاب دعا لأعور بأن يفتح الله عينه، فعمى . ومسح بيده رأس يتيم، فقرع . وبلغه أن النبي ﷺ تفل في بئر فكثر ماؤها وعذب، بعد أن لم يكن كذلك، فتفل هو في بئر ليعذب ماؤها فصار ملحا اجاجاً، وإن ظهر الخارق على يد مؤمن صالح فهو الكرامة، أو على يد فاسق كالساحر مثلاً فهو استدراج، وقد يقع الخارق لبعض عوام المسلمين تخليصاله من محنة أو مكروه، ويسمى معونة .

٢ - قولهم : « ما وقع معجزة لنبي، جاز أن يكون كرامة للولي » محمول على الآيات التي لم يقع بها التحدى، أما المعجزة التي وقع بها التحدى كالقرآن الكريم فلا . نبه على هذا المعنى العلامة الأبي في شرح مسلم، ونحوه قول القشيري : إن كرامات الأولياء لا تنتهى إلى نحو ولد دون والد أو يشير إلى ولادة عيسى عليه السلام فهي آية من الله لنبيه ولأمه بسببه كما قال تعالى ( وجعلنا ابن مريم وأمه آية ) وقال تعالى ( قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ) .

٣ - فى القرآن الكريم آيات تثبت كرامات الأولياء، منها قصة أصحاب الكهف ونومهم أكثر من ثلاثة قرون . الخ ما قصه الله من خبرهم العجيب ولم يكونوا أنبياء ومنها قصة مريم عليها السلام وأن زكريا عليه السلام ( كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ) وقد كانت صديقة بنص القرآن، ومنها فى قصة سليمان عليه السلام قول الذى عنده علم من الكتاب ( أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك ) وأتى به فى غمضة عين أى سرير ملكة سبأ . وأما الأحاديث فكثيرة جداً نذكر منها عشرة كلها صحيحة .

١ - عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله عليه وسلم يقول « انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا : إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم قال رجل منهم : اللهم كان لى ابوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما - أى لا أقدم فى شرب اللبن عليهما - أهلا ولا مالا .



فناى بى طلب شجر يوما فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت أن أغبق قبلهما أهلا أو مالا فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر والصبية يتضاغون عند قدمي فاستيقظا فشربا غبوقهما. اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانقرجت شيئا لا يستطيعون الخروج، قال النبي ﷺ « قال الآخر : اللهم كانت لى ابنة عم كانت أحب الناس إلى فاردتها عن نفسها فامتنعت منى حتى ألت بها سنة من السنين فجاءتنى فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلى بينى وبين نفسها ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت : لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه فتخرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهى أحب الناس إلى وتركت الذهب الذى أعطيتها. اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانقرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها، قال النبي ﷺ « وقال الثالث : اللهم استأجرت أجرا وأعطيتهم أجرهم، غير رجل واحد ترك الذى له وذهب، فشمرت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءنى بعد حين، فقال لى : يا عبد الله أد إلى أجرى فقلت : كل ما ترى من أجرك : من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال : يا عبد الله لا تستهزئ بى، فقلت : إنى لا استهزئ بك، فاخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئا، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانقرجت الصخرة فانطلقوا يمشون. رواه البخارى ومسلم .

٢ - عن أبى هريرة عن النبي ﷺ قال « لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة : عيسى، وكان فى بنى إسرائيل رجل يقال له جريج كان يصلى جاءته أمه فدعته، فقال : أجيبها أو أصلى، فقالت : اللهم لا تمته حتى تراه وجوه المومسات، وكان جريج فى صومعته فتعرضت له امرأة فكلمته فأبى، فأتت راعيا فأمكنته من نفسها فولدت غلاما فقالت : من جريج ، فأتوه فكسروا صومعته، وأنزلوه وسبوه، فتوضأ وصلى، ثم أتى الغلام فقال : من أبوك يا غلام؟ فقال : الراعى. وكانت امرأة ترضع ابنا لها من بنى إسرائيل، فمر بها رجل راكب ذو شارة، فقالت : اللهم اجعل ابنى مثله، فترك ثديها فأقبل على الراكب فقال : اللهم لا تجعلنى مثله، ثم أقبل على ثديها يمصه، قال أبو هريرة كأنى أنظر الى النبي ﷺ يمص أصبعه، « ثم مر بامة، فقالت : اللهم لا تجعل

ابنى مثل هذه، فترك ثديها وقال : اللهم اجعلنى مثلها، فقالت له ذلك، فقال :  
الراكب جبار من الجبابرة، وهذه الأمة يقولون : سرقت زنت، ولم تفعل ! رواه  
البخارى ومسلم .

٣ - عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ : أنه ذكر رجلا من بنى إسرائيل سأل بعض بنى  
إسرائيل أن يسلفه ألف دينار، فقال ائتنى بالشهداء أشهدهم، قال : كفى بالله  
شهيدا، قال : فائتنى بالكفيل، قال : كفى بالله كفيلا، قال : صدقت، فدفعها إليه  
إلى أجل مسمى، فخرج فى البحر فقضى حاجته، ثم التمس مركبا يركبها يقدم  
عليه للأجل الذى أجله، فلم يجد مركبا، فأخذ خشبة فنقرها فادخل فيها ألف  
دينار وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زجج موضعها ثم أتى بها إلى البحر فقال :  
اللهم إنك تعلم أنى كنت تسلفت فلانا ألف دينار، فسألنى كفيلا، فقلت : كفى  
بالله كفيلا، وسألنى شهيدا فقلت : كفى بالله شهيدا، فرضى بك، وإنى جهدت أن  
أجد مركبا أبعث إليه الذى له، فلم أقدر، وإنى استودعكها، فرمى بها فى البحر  
حتى ولجت فيه ثم انصرف، وهو فى ذلك يلتمس مركبا يخرج إلى بلده، فخرج  
الرجل الذى كان أسلفه ينظر لعل مركبا قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التى فيها المال  
فأخذها خطبا لأهله، فلما نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قدم الذى كان أسلفه  
فأتى بالالف دينار فقال : والله ما زلت جاهدا فى طلب مركب لآتيك بمالك فما  
وجدت مركبا قبل الذى أتيت فيه، قال : هل كنت بعثت إلى بشىء؟ قال : أخبرك  
أنى لم أجد مركبا قبل الذى جئت فيه، قال : فإن الله قد أدى عنك الذى بعثت  
الخشبة، وانصرف بالالف دينار راشداً، رواه البخارى وأحمد والنسائى وابن حبان  
وغيرهم .

٤ - عن أبى هريرة أيضا أن النبى ﷺ قال : بينا رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتا فى  
سحابة : اسق حديقة فلان، فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه فى حرة، فإذا شرجة  
من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله، فتتبع الماء فإذا رجل قائم فى حديقة  
يحول الماء بمسحاته، فقال له : يا عبد الله ما اسمك؟ قال : فلان، للاسم الذى سمع  
فى السحابة فقال له يا عبد الله لم تسألنى عن اسمى؟ فقال : إنى سمعت صوتا فى  
السحاب الذى هذا ماؤه يقول : اسق حديقة فلان، لاسمك، فما تصنع فيها؟ قال :  
أما إذ قلت هذا فإنى أنظر إلى ما يخرج منها فاتصدق بثلثه، وأكل أنا وعتالى ثلثا،

وأرد فيها ثلثه» رواه مسلم في صحيحه.

٥ - عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ «لما أسرى بي مرت بي رائحة طيبة، فقلت : ما هذه الرائحة؟ قالوا ما شطة بنت فرعون وأولادها، سقط مشطها من يدها، فقالت : بسم الله، فقالت ابنة فرعون : أبى؟ قالت : ربى هو ربك ورب أبيك، قالت : أولك رب غير أبى؟ قالت : نعم، فدعاها فقال : ألك رب غيرى؟ قالت : نعم، ربى وربك الله، فأمر ببقرة من نحاس فأحميت، ثم أمر بها لتلقى فيها وأولادها، فآلقوا واحداً واحداً حتى بلغ رضيعاً فيهم، فقال : قعى يا أمة ولا تقاعسى، فإنك على الحق» رواه أحمد وابن أبى شعبة والبزار وأبو يعلى والبيهقى، وصححه الحاكم وابن حبان وغيرهما.

٦ - عن أبى سعيد الخدرى أن أسيد بن حضير بينما هو يقرأ ليلة في مربده إذ جالت فرسه، فقرأ ثم جالت أخرى، فقرأ ثم جالت أيضاً، قال أسيد : فخشيت أن تطأ يحيى. - ابنه - فقامت إليها فإذا هو مثل الظلة فوق رأسى، فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها، فغدوت على رسول الله ﷺ، فقلت : يا رسول الله بينما أنا البارحة من جوف الليل أقرأ في مربد لى، إذ جالت فرسى، فقال رسول الله ﷺ «اقرأ يا ابن حضير» قال : فقرأت ثم جالت أيضاً فقال «اقرأ يا ابن حضير» قال : فقرأت ثم جالت أيضاً، فقال «اقرأ يا ابن حضير» قال : فانصرفت، وكان يحيى قريباً منها فخشيت أن تطأه، فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها، فقال رسول الله ﷺ «تلك الملائكة كانت تتسمع لك ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم» رواه الشيخان، ورواه مسلم من حديث البراء بن عازب.

وكان أسيد بن حضير حسن الصوت كما في رواية أبى عبيد عن أبى بن كعب، وجاء في رواية الإسماعيلي أن النبى ﷺ قال له «اقرأ أسيد فقد أوتيت من مزامير آل داود» وكان يقرأ في تلك الليلة سورة البقرة كما في رواية البخارى، ووقع نظير هذه الكرامة لصحابى آخر اسمه ثابت بن قيس بن شماس، فروى أبو عبيد في فضائل القرآن عن جرير بن يزيد : أن أشياخ أهل المدينة : أن رسول الله ﷺ قيل له : ألم تر ثابت بن قيس بن شماس لم تزل داره البارحة تزهر مصابيح؟ قال : فلعله قرأ سورة البقرة» قال : فسئل ثابت، فقال : قرأت سورة البقرة.



٧ - عن أنس أن أسيد بن حضير ورجلا من الأنصار تحدثا عند رسول الله ﷺ حتى ذهب من الليل ساعة في ليلة شديدة الظلمة، ثم خرجا وبید كل منهما عصاه، فأضاءت عصا أحدهما حتى مشيا في ضوئها، حتى إذا افترقت بهما الطريق أضاءت عصا الآخر، فمشى كل منهما في ضوء عصاه حتى بلغ أهله، رواه عبد الرزاق وهذا لفظه وأحمد والبخاري والحاكم وغيرهم، وفي رواية للأخيرين تعيين الرجل من الأنصار بأنه عباد بن بشر.

٨ - روى مالك عن عبد الرحمن بن أبي صعصعة أنه بلغه أن عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو الأنصاري - والد جابر - كانا في قبر واحد - وهما ممن استشهد يوم أحد فحفر السيل قبرهما فحفر عليهما ليغيرا من مكانهما فوجدا لم يتغيرا كأنهما ماتا بالأمس وكان أحدهما قد جرح فوضع يده على جرحه، فدفن وهو هكذا فأشيلت يده عن جرحه ثم أرسلت فرجعت كما كانت وكان بين أحد وبين ما حفر عليهما ستة وأربعون سنة وروى البغوي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال كتب معاوية إلى عامله بالمدينة أن يجرى عينا إلى أحد فكتب إليه عامله: إنها لا تجرى إلا على قبور الشهداء فكتب إليه: أن أنقذها قال جابر: فرأيتهم - يعني شهداء أحد - يخرجون على رقاب الرجال كأنهم رجال نوم حتى أصابت المسحاة قدم حمزة رضي الله عنه فانبعثت دماً وهذه القصة بلغت حد الاستفاضة أو التواتر لأن عامل معاوية نادى في المدينة يحض الناس أن يخرجوا لنقل موتاهم فخرج من لا يحصى من الأنصار وغيرهم وشاهدوا هذه الكرامة العجيبة بعد بضع وأربعين سنة من استشهادهم رضي الله عنهم.

٩ - روى مالك في الموطأ بإسناد على شرط الصحيحين أن أبا بكر رضي الله عنه استرجع عند وفاته أرضاً كان وهبها لعائشة رضي الله عنها وقال - يطيب خاطرها -: إنما هما أخواك وأختاك أي لم أسترجع الأرض الموهوبة إلا لمصلحة الورثة الذين هم إخوانك قالت لابيها رضي الله عنهما: إنما هي أسماء فمن الأخرى؟ - أي ليس لي أخت غير أسماء فمن الثانية؟ فأجابها الصديق رضي الله عنها: ذو بطن بنت خارجة - هي امرأته وكانت حاملاً - أراها جارية فولدت بعد وفاته بنتاً.

١٠ - روى الطبراني بإسناد رجاله رجال الصحيح - كما قال الحافظ الهيثمي - عن

سعيد بن عبد العزيز أن عمار بن ياسر رضى الله عنهما أقسم يوم أحد فهزم المشركون وأقسم يوم الجمل - اسم موقعة - فغلبوا أهل البصرة وقيل له يوم صفين - يكسر الصادر والفاء المشددة موضع كان فيه قتال بين علي عليه السلام وبين معاوية - لو أقسمت فقال لو ضربونا بأسيا فهم حتى نبليغ سعفات هجر لعلمنا أنا على الحق وهم على الباطل فلم يقسم فقتل يؤمئذ وقال يوم أحد : أقسمت يا جبريل وياميكال لا يغلبنا معشر ضلال، إنا على الحق وهم جهال . وقد أخرج الطبراني في الأوسط عن عائشة قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول « كم من ذى طمرين لا ثوب له لو أقسم على الله لأبره منهم عمار بن ياسر » . وباب الكرامات بحر خضم مترامى الأطراف، وفي كتابنا « الحجج البينات في إثبات الكرامات » استيفاء بالغ لكثير من أنواعها المتعددة فعليك بقراءته .

### « حلقات الذكر »

للمحافظ السيوطي رضى الله عنه في هذا الموضوع رسالة اسمها « نتيجة الفكر في الجهر بالذكر » قال في أولها :

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى « سألت أكرمك الله عما اعتاده السادة الصوفية من عقد حلق الذكر والجهر به في المساجد ورفع الصوت بالتهليل، وهل ذلك مكروه أولا؟ الجواب : أنه لا كراهة في شئ من ذلك، وقد وردت أحاديث تقتضى استحباب الجهر بالذكر، وأحاديث تقتضى استحباب الإسرار به، والجمع بينهما : أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص، كما جمع النووي بمثل ذلك بين الأحاديث الواردة باستحباب الجهر بقراءة القرآن، والأحاديث الواردة باستحباب الإسرار بها . ثم أورد خمسة وعشرين ما بين حديث وأثر، نقتطف منها ما يلي :

١ - روى البخارى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرنى، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وإن ذكرنى فى ملا ذكرته فى ملا خير من ملائه » قال والذكر فى الملا لا يكون إلا عن جهر، قلت : والحديث رواه بقية السجدة إلا أبا داود .

٢ - روى البزار بإسناد صحيح عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال « قال الله تبارك وتعالى : يا ابن آدم إذا ذكرتنى خاليا ذكرتك خاليا وإذا ذكرتنى فى ملا ذكرتك فى ملا خير

من الذين تذكرني فيهم» .

٣ - روى الشيخان ولفظ لمسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ «إن الله تبارك وتعالى ملائكة سيرة فضلاء يبتغون مجالس الذكر، فإذا وجدوا مجلساً فيه ذكر قعدوا معهم، وحف بعضهم بعضاً بأجنتهم حتى يملأوا ما بينهم وبين السماء، فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء، فيسألهم الله عز وجل - وهو أعلم - من أين جئتم؟ فيقولون : جئنا من عند عبادك في الأرض، يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك، قال : فما يسألوني؟ قالوا : يسألونك جنتك، قال : وهل رأوا جنتي؟ قالوا : لا أي رب، قال : وكيف لو رأوا جنتي؟ قالوا : ويستجيرونك، قال : ومم يستجيرونني؟ قالوا : من نارك يارب، قال : وهل رأوا ناري؟ قالوا : لا يارب، قال : فكيف لو رأوا ناري، قالوا : ويستغفرونك، قال : فيقول : قد غفرت لهم وأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا، قال : يقولون : يارب فيهم فلان عبد خطاء، إنما مرفجس معهم، فيقول : وله غفرت، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم» .

٤ - روى البيهقي عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا» قالوا : يارسول الله وما رياض الجنة، قال «خلق الذكر» قلت : رواه الترمذي وحسنه .

٥ - روى الطبراني وابن جرير عن عبد الرحمن بن سهل بن حنيف قال : لما نزلت على رسول الله ﷺ - وهو في بعض أبياته - «واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي» الآية، فخرج يلتمسهم فوجد قوما يذكرون الله تعالى، منهم ثائر الرأس، وجاف الجلد، وذو الثوب الواحد، فلما رأهم جلس معهم وقال : «الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني أن أصبر نفسي معهم» وروى أحمد في الزهد عن ثابت قال : كان سلمان في عصابة يذكرون الله، فمر النبي ﷺ فكفوا، فقال «ما كنتم تقولون؟» قلنا : نذكر الله، قال «إني رأيت الرحمة تنزل عليكم فأحببت أن أشارككم فيها» ثم قال «الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرت أن أصبر نفسي معهم» قلت : للحديث طرق كثيرة .

ثم قال السيوطي : إذا تأملت ما أوردنا من الأحاديث عرفت من مجموعها أنه لا كراهة البتة في الجهر بالذكر، بل فيه ما يدل على استحبابه إما صريحاً أو التزاماً، وأما



معارضته بحديث « خير الذكر الخفي » فالجمع بينهما بأن الإخفاء أفضل حيث خاف الرياء، أو تأذى به مصلون، أو نيام، والجهر في غير ذلك أفضل، لأن العمل فيه أكثر، ولأن فائدته تتعدى إلى السامعين، ولأنه يوقظ قلب الذاكر ويجمع همه، ويصرف سمعه إليه ويطرد النوم، ويزيد في النشاط، وبهذا يحصل الجمع بين الأحاديث، فإن قلت : قال : الله تعالى (واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخفية ودون الجهر من القول) قلت : الجواب من ثلاثة أوجه « أحدها » أنها مكية كآية الإسراء (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) وقد نزلت حين كان النبي ﷺ يجهر بالقرآن، فيسمعه المشركون فيسبون القرآن ومن أنزله، فأمر بترك الجهر سداً للذريعة، كما نهى عن سب الأصنام لذلك في قوله تعالى (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم) وقد زال هذا المعنى الآن، أشار إلى ذلك ابن كثير في تفسيره. « الثاني » أن جماعة من المفسرين منهم عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وابن جرير حملوا الآية على الذاكر حالة قراءة القرآن، وأنه أمر له بالذكر على هذه الصفة تعظيماً للقرآن أن ترفع عنده الأصوات، ويؤيده اتصالها بقوله (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) « الثالث » ما ذكره الصوفية أن الأمر في الآية خاص بالنبي ﷺ الكامل المكمل، وأما غيره ممن هو محل الوسوس والخواطر الرديئة فأمور بالجهر لأنه أشد تأثيراً في دفعها. فإن قلت : فقد قال تعالى (ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين) وقد فسر الاعتداء بالجهر في الدعاء، قلت : الجواب من وجهين « أحدهما » أن الراجح في تفسيره أنه تجاوز المأمور به، أو اختراع دعوة لا أصل لها في الشرع، ويؤيده ما أخرجه ابن ماجه والحاكم وصححه عن أبي نعام أن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول : اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة، فقال : أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول « سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الدعاء » فهذا تفسير صحابي وهو أعلم بالمراد، « الثاني » على تقدير التسليم فالآية في الدعاء لا في الذكر، والدعاء بخصوصه الأفضل فيه السر، لأنه أقرب إلى الإجابة، ولذا قال تعالى : (إذ نادى ربه نداء خفياً) ومن ثم استحباب الإسرار بالاستعاذة في الصلاة اتفاقاً، لأنها دعاء، فإن قلت : فقد نقل عن ابن مسعود أنه رأى قوما يهللون برفع الصوت في المسجد، فقال : ما أراكم إلا مبتدعين، حتى أخرجهم من المسجد. قلت : هذا الأثر يحتاج إلى بيان سنده، ومن أخرجه من الأئمة الحفاظ في كتبهم، وعلى تقدير ثبوته فهو معارض بالأحاديث الكثيرة الثابتة المتقدمة، وهي مقدمة عليه عند التعارض، ثم

رأيت ما يقتضى إنكار ذلك عن ابن مسعود ، قال الإمام أحمد فى كتاب الزهد : حدثنا حسين بن محمد حدثنا المسعودى عن عاصم بن شقيق عن أبى وائل قال : هؤلاء الذين يزعمون أن عبد الله كان ينهى عن الذكر ، ما جالست عبد الله مجلساً قط إلا ذكر الله فيه ، وأخرج أحمد فى الزهد عن ثابت البنانى قال : إن أهل ذكر الله ليجلسون إلى ذكر الله وإن عليهم من الآثام أمثال الجبال ، وإنهم ليقومون من ذكر الله تعالى ما عليهم منها شئ .

هذا ملخص رسالة نتيحة الفكر ، وهى مطبوعة بتعليقاتى عليها ، فليراجعها من أرادها .

### الذكر بالاسم المفرد (١)

اعترض بعض الفقهاء على الصوفية عنايتهم بالاسم المفرد ، ولهجهم به ، زاعماً أن الذكر به بدعة ، وأنه لا يشتمل على جملة مفيدة مثل الأذكار الواردة نحو لا اله إلا الله . والحمد لله ، والله أكبر ، وإلى غير ذلك ، وقد تولى الرد على هذا الاعتراض مولانا الشيخ الإمام الوالد رضى الله عنه فى بحث واف كاف ، ننقله بنصه ، من مجموعة فتاوه وبحوثه فى علوم مختلفة ، قال - تغمده الله برضوانه - : الحمد لله ، ما نقله الخطاب آخر باب الردة من شرحه لمختصر خليل من أن عز الدين بن عبد السلام سئل عن يذكّر بصيغة : الله الله . مقتصراً على ذلك ، هل هو مثل سبحان الله ، والحمد لله ؟ الخ . فأجاب بقوله : هذه بدعة لم تنقل عن رسول الله ﷺ ، ولا عن أحد السلف . إلخ مردود من وجوه « أولها » ما ورد فى صحيح مسلم من قوله عليه الصلاة والسلام « لا تقوم الساعة

(١) كلام الصوفية عن الذكر بالاسم المفرد دائر حول دعويين - كما هو صنيع مؤلفنا هنا - الأولى : حول مشروعية الذكر بالاسم المفرد ، والثانية : حول جعلهم إياه من أذكار الخاصة من الأولياء .

والحق أن كلا منهما بدعة فى الدين لا تجوز ، وأدلة المؤلف على ذلك لا تثبت بحال ، وأرى أن الوقوف فى ذلك يكون عند الوارد ، إذ إنه من أسباب جلب الوارد ، والصوفى من كان تابعاً للسلف فى معتقده ، ورحم الله القائل :

فكل خير فى اتباع من سلف وكل شرفى ابتداء من حلف

فأى ذكر هو أفضل من قولنا سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، وقد قال سيدنا رسول الله ﷺ : « أفضل الذكر : لا إله إلا الله ، وأفضل الدعاء : الحمد لله » ، فاتبع سبيل المصطفى ﷺ وصحابته الأخيار ، وسبيل الصادقين فى التوجه إلى رب العالمين ، تكن من الأواهين الأوابين ، والله يتولانا وإياك ويرفقنا لما فيه رضاه .

حتى لا يبقى من يقول : الله . الله » وفي رواية له « حتى لا يقول أحد : الله . الله » فإن هذا الحديث الشريف شاهد لذكره وتكراره كما ترى، ولا سيما على رواية النصب، وقد رد جماعة من المحققين به على ابن عبد السلام، منهم سيدي عبد القادر الفاسي، والعارف الشعراني، وابن عبد السلام بناني، وجماعة يطول ذكرهم « ثانيها » أنا لا نسلم أن الذكر لا يكون إلا جملة، فقد قال تعالى ( والله الأسماء الحسنى فادعوه بها ) بناء على أن المراد بالدعاء الذكر والتسمية . « ثالثها » أنا وإن سلمنا أن الذكر إنما يكون جملة فقول الذاكر : الله . الله جملة تقديرا، إذ معناه : يا الله، أو الله أعظم، أو الله أكبر، أو نحو ذلك .

وحذف النداء مع المندوب والمضمر والمستغاث جائز اتفاقا كما في اللفية، « رابعها » ما ورد في بعض الأحاديث من أن العبد إذا قال : الله، يشهد له كل من يسمعه، ذكره ابن زكري والعهد عليه، « خامسها » تراطؤ السادات للصوفية على ذكره والاستهتار به - أي الولوع به - سلفهم وخلفهم، وهم من الصديقين . وقد قالوا : إذا اختلفت أقاويل العلماء فعليك بما قاله الصديقون منهم ، لمزيد نورهم، وكمال عرفانهم، وقربهم من الله ورسوله ، والسادات الصوفية لا خلاف عندهم في ذكره، بل لا يصح عندهم الفتح والسير في المقامات إلا بواسطة ، ولهم فيه تأليف وترتيبات، على حسب الأحوال والمقامات، قال العارف المحقق شهاب الدين أحمد الغزالي : مادمت ملتفتا إلى ما سوى الله فلا بد لك من النفي والإثبات بلا إله إلا الله، ومادمت تعتمد على رئاسة العلم والجاه، فلا بد لك من النفي والإثبات بلا إله إلا الله، ومادمت ترى في الوجود سواه، فلا بد من لا إله إلا الله، فإذا غبت في الكل عن الكل استوحشت من نفي لا إله، ووقفت على إثبات إلا الله، ( قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ) (١) .

وقال العارف الشعراني في المنن : ومما من الله به علي : مواظبتي - أول دخولي لطريق

(١) كلام الشيخ أحمد الغزالي - رحمه الله - في هذا المقام مغالطة صريحة، إذ فيه نسبة النقص لأهل الكمال - عليهم الصلاة والسلام - فيقول خاتمهم وسيدهم ﷺ : « أفضل ما قلت أنا والنيبون من قبلي : لا إله إلا الله »، وكلام الشيخ شامل الأمر بتركه، ولم يعرف عن أهل التحقيق من الصوفية ذلك .

ثم إن الاستدلال على جواز الذكر بالاسم المفرد بقوله تعالى : ﴿ قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ﴾ غير صحيح، وليس فيه طلب الذكر به على الإطلاق، بل مقيد بما جاءت به الآية من أنه جواب على سؤال أهل الشرك إرسال الرسل، قال تعالى : ﴿ قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ﴾ (٩١)

القوم - على ذكر الله بلفظ الجلالة الله، أربعاً وعشرين ألف مرة كل يوم وليلة على عدد الأنفاس الواقعة في الليل والنهار، ليكون حكماً - إن شاء الله - حكم من لم يغفل عن الله نفساً واحداً، ثم قال : قال الشيخ محيي الدين : وينبغي لمن يذكر الله بلفظ الجلالة أن يحقق الهمزة ويسكن الهاء، فإن فتح الهاء وأسقط الهمزة ووصل الهاء باللام المدغمة كان تلفظه بها كتلفظه بكلمة : هلا . فلا يُفتح عليه بشيء، لأنه تعالى ما هو مسمى بذلك الاسم ثم قال : وصورة الذكر بالجلالة أن يقول : الله . الله . حتى ينقطع نفسه . اهـ .

وذكر أبو علي الدقاق أن رجلاً كان يقول : الله الله . دائماً، فأصاب حجر رأسه فشجه فقطر منه الدم وكتب على الأرض : الله الله، وبقي النور في منزله سبعة أيام لم يأكل ولم يشرب ولم ينم وهو يقول : الله . الله . الله .، فأعلم الجنيد بذلك فقال : انظروا أمحفوظة عليه أوقاته أم لا؟ فقالوا له : إنه يصلي الفرائض، فقال : الحمد لله الذي لم يجعل للشيطان عليه سبيلاً، وسئل الشبلي : لم تقول : الله . الله، ولا تقول : لا إله إلا الله؟ فقال : لا أبغى له ضداً، فقال السائل : أريد أعلى من هذا، فقال أخشى أن أؤخذ بين وحشية النفي والإثبات فقال أريد أعلى من هذا فقال : (قل الله، ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) فزعق السائق ومات، فتعلق أولياؤه بالشبلي فقال لهم : روح دعيت فسمعت فلبت وأجابت فما ذنبي؟ فقال الخليفة : خلوا سبيله، لا ذنب له . قال العارف أبو الوفاء : وتعليل هذا المذهب أن نفي الشيء إنما يحتاج إليه عند حضور ذلك الشيء بالبال فمن لا يخطر بباله شريك لا يكلف نفي الشريك، والكامل لا يخطر بباله ولا بخياله إلا الله فيكفيه أن يقول : الله . الله . اهـ، وقال القطب الشيخ أبو العباس المرسى رضي الله عنه : ليكن ذكرك : الله . الله، فإن هذا الاسم سلطان الأسماء، وله بساط وثمره فبساطه العلم، وثمرته النور، وليس النور مقصوداً لذاته، بل لما يقع به من الكشف والعيان، فينبغي الإكثار من ذكره، واختياره على سائر الأذكار لتضمنه لجميع ما في لا إله إلا الله من العقائد والعلوم والآداب والحقوق، فإنه يأتي في : الله، وفي : هو، ما لا يأتي في غيرهما من الأذكار . اهـ .

قال الشيخ زروق : ولهذا اختاره المشايخ ورجحوه على سائر الأذكار، وجعلوا له خلوات، ووصلوا به إلى أعلى المقامات والولايات، وإن كان منهم من اختار في الابتداء لا إله إلا الله وفي الانتهاء الله . الله . اهـ .



وقال ابن حجر في الفتاوى الحديثية: ذكر لا إله إلا الله أفضل من ذكر الجلالة مطلقاً بلسان أهل الظاهر، وأما عند أهل الباطن فالحال عندهم يختلف باختلاف حال السالك، فمن هو في ابتداء أمره ومقاساة شهود الأغيار وعدم انفكاكه عن التعلق بها يحتاج إلى النفي والإثبات حتى يستولى عليه سلطان الذكر، فإذا استولى عليه فالأولى له لزوم الإثبات أعني: الله . الله . اهـ باختصار .

وقال الجنيد: ذاكر هذا الاسم ذاهب عن نفسه متصل بربه، قائم بأداء حقه، ناظر إليه بقلبه، قد أحرقت أنوار الشهود صفات بشريته. اهـ . قال الشيخ محيي الدين: ومن أراد أن يفتح عليه بذكر هذا الاسم الشريف فليتخذ خلوة وليترك سائر الأذكار (١) والأوراد غيره، ولا يذكره من حيث إنه يدل على العين فقط، بل لا بد أن يستحضر أنه يذكر من لا تحصره الأكوان، ومن له الوجود المطلق التام، فبهذا الاستحضار تحصل الثمرة التي هي النور الذي يقع به الشهود والعيان، وهذا الاستحضار هو المعبر عنه بالبساط. اهـ . وفي صلاة القطب مولانا عبد السلام بن مشيش: الله . الله . الله ثلاث مرات، أفيجترئ أحد أن يفوه في ذلك بعيب؟ أو طعن وريب؟ كلا، وكيف؟ وأصول الشريعة لا تأباه، ولا تدل على خروجه عن ذكر الله لا لفظاً ولا معنى، إلى غير هذا من نصوص أولياء الله الدالة على استحباب ذكره. قال شيخ الشيوخ سيدى عبد القادر الفاسي - بعد كلام في هذا المعنى - : ولا يخفى هذا على من له ممارسة باصطلاحهم، فيكفيها التسليم والتصديق لما قصرت عنه مداركنا من مذاهبيهم، «فاشدد يدك على تسليم ما فعلوا، وظن خيراً ولا تعباً بمن عدلاً». إذ التصديق بطريقهم ولاية، والاعتراض عليهم جنابة، قال: وليس في كلام عز الدين تصريح بإنكار أو بغيره بل غاية ما قال: إنه لم ينقل عن السلف، وكم من أشياء لم تنقل عن السلف وهي مشروعة، إذ البدعة تنقسم إلى الأقسام الخمسة كما هو معلوم، فلا ينبغي الإنكار على من يذكر هذا الاسم الشريف، ولا التوقف فيه اهـ. كلام سيدى عبد القادر الفاسي وهو وحده كاف في رد كلام ابن عبد السلام، والله تعالى أعلم اهـ. قلت: ثبت عن بلال رضي الله عنه الذكر بالاسم المفرد، قال أبو داود: قرئ على سلمة بن شبيب وأنا

(١) قول الشيخ محيي الدين - رحمه الله - «وليترك سائر الأذكار» إيغال في البعد عن السنن والآثار، ونهى عن تتبع سنة النبي المختار - صلى الله عليه وآله وسلم - وعفى عنا وعنه وعن جميع المسلمين العزيز الغفار.

شاهد، قال : حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن عطاء الخراساني قال : كنت عند سعيد بن المسيب فذكر بلالا فقال : كان شحيحاً على دينه، فإذا أراد المشركون أن يقاربهم قال : الله . الله . وذكر بقية الحديث في شراء أبي بكر رضي الله عنه بلالا وإعتاقه، وثبت عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : كان أول من أظهر الإسلام سبعة، رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد، فاما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر رضي الله عنه فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فاخذهم المشركون فالبسوهم أذراع الحديد وأصهروهم في الشمس، فما منهم إنسان إلا وقد واتاهم على ما أرادوا إلا بلالا فإنه هانت عليه نفسه في الله، وهان على قومه . فاعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة، وهو يقول : أحد . أحد . وهذا خبر مشهور ورد في كتب السيرة بطرق، فكيف يقال بعد هذا : إن الذكر بالاسم المفرد لم ينقل عن السلف ؟ ١١٩ على أن الأوامر التي حضت على ذكر الله في الكتاب والسنة - وهي كثيرة - تشمل الذكر بالاسم المفرد لا محالة، فاشتراط وروده بعينه - رغم شمول مطلق الأوامر له - تعسف ياباه الإنصاف، ونريد أن نقول - زيادة على ما تقدم - : إن الشارع أذن في إنشاء أذكار من بنات أفكار الذاكر، بل حض عليها . فروى الطبراني في الأوسط بسند جيد كما قال الحافظ الهيثمي عن أنس أن رسول الله ﷺ مر بأعرابي وهو يدعو في صلاته ويقول : يا من لا تراه العيون، ولا تخالطه الظنون، ولا يصفه الواصفون، ولا تغيره الحوادث، ولا يخشى الدوائر، يعلم مشاقيل الجبال، ومكايل البحار، وعدد قطر الأمطار، وعدد ورق الأشجار، وعدد ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار، لا توارى منه سماء سماء، ولا أرض أرضاً، ولا بحر ما في قعره، ولا جبل ما في وعره، اجعل خير عمري آخره، وخير عملي خواتيمه وخير أيامي يوم القاك فيه، فلما فرغ من صلاته دعاه النبي ﷺ، ووهب له ذهباً أهدي له من بعض المعادن، وقال « وهبت لك الذهب بحسن ثنائك على الله عز وجل » فتأمل هذا الحديث تجده ياذن في إنشاء أذكار وأدعية من غير تفيد بالوارد، بل يمكننا أن نقول : كل ما أنشأه الصوفية من أذكار وأوراد وأدعية فهو من قبيل الوارد لدخوله في عموم هذا الحديث، وبالله التوفيق .

### موقف العلماء من الصوفية

علمت - فيما سبق أول الكتاب - أن الدين ينبني على ثلاثة أركان : الإيمان، الإسلام، الإحسان، وأن التصوف هو مقام الإحسان، وأن المقامات والاحوال التي يتكلم

فيها الصوفية كلها واردة في الكتاب أو السنة بالعبارة الصريحة، أو الإشارة الواضحة، وأن الصحابة - خصوصاً منهم أهل الصفة - كانوا متخلقين بأخلاق الصوفية، وكذلك التابعون وتابعوهم وهلم جراً، وعلى هذا فلا عجب أن يكون موقف علماء المسلمين من الصوفية موقف التأييد والتعاضد والمساندة، وكان الأئمة أهل الفقه والكلام، وأكابر أعلام الإسلام - كما يقول الحافظ السيوطي - يصحبون أهل الطريق، ويحضرون مجالس وعظهم ويبالغون في الثناء عليهم، وينقلون عباراتهم وإشاراتهم في دروسهم وتصانيفهم.

### وإليك بعض الأدلة على ذلك :

- ١ - نقل الإمام زروق في قواعده، والتتائي عن الإمام مالك أنه قال : من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن جمع بينهما فقد تحقق أهـ فانظر كيف اعتبر الإمام مالك رضي الله عنه التصوف والفقه جزءين متلازمين لا يتم أحدهما إلا بالآخر.
- ٢ - قال الإمام الشافعي رضي الله عنه : صحبت الصوفية فلم أستفد منهم سوى حرفين، وفي رواية : سوى ثلاث كلمات، قولهم الوقت سيف إن لم تقطعه قطعك، وقولهم : نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل، وقولهم : العدم عصمة، نقله الحافظ السيوطي وغيره، والإمام الشافعي يعده الصوفية من الأبدال.
- ٣ - روى الحاكم والخطيب بسند صحيح عن إسماعيل بن إسحاق السراج قال : قال لي أحمد بن حنبل : يبلغني أن الحارث هذا - يعني المحاسبي - يكثر الكون عندك، فلو أحضرته منزلك وأجلستني في مكان أسمع كلامه، ففعلت، وحضر الحارث وأصحابه، فأكلوا وصلوا العتمة، ثم قعدوا بين يدي الحارث وهم سكوت إلى قريب نصف الليل، ثم أخذ الحارث في الكلام، وكأن على رؤسهم الطير، فمنهم من يبكي، ومنهم من يخر، ومنهم من يزعم، وهو في كلامه، فصعدت الغرفة فوجدت أحمد قد بكى حتى غشى عليه، فلما تفرقوا قال أحمد : ما أعلم أنني رأيت مثل هؤلاء ولا سمعت في علم الحقائق مثل كلام هذا، وعلى هذا فلا أرى لك صحبتهم أهـ.

قال الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب : إنما نهاه عن صحبتهم لعلمه بقصوره

عن مقامهم، فإنه مقام ضيق لا يسلكه كل أحد ويخاف على من يسلكه ألا يوفيه حقه أهـ.

وقال الحافظ الخطيب أيضاً في تاريخ بغداد: أخبرنا أبو عبد الرحمن إسماعيل بن أحمد الحيرى أنبأنا محمد بن الحسين السلمى قال: سمعت محمد بن الحسن البغدادي يحكى عن ابن الأعرابي قال: قال أبو حمزة: كان الإمام أحمد بن حنبل يسألنى فى مجلسه عن مسائل ويقول: ماتقول فيها يا صوفى؟ قلت: كفى بهذا القول من الإمام أحمد رداً على مقلديه كابن تيمية وأذنبه الذين ينكرون على الصوفية، ويرمونهم بالكفر والإلحاد، هذا وأما ما اشتهر بين كثير من الناس أن الشافعى وأحمد اجتمعا بشيخان الراعى وسألاه عن أشياء فى الصلاة والزكاة، فليس بصحيح، لأن الإمامين لم يدركا زمن شيخان بل كانا بعده كما فى المقاصد الحسنة للحافظ السخاوى.

٤ - كان أبو العباس بن سريج - أحد أئمة الشافعية - يحضر مجلس الجنيد ويسمع كلامه، ويقول: أشهد أن لهذا الكلام صولة ليست بصولة مبطل، وروى القشيري فى الرسالة والخطيب فى تاريخ بغداد من طريق أبى الحسين على بن إبراهيم الحداد قال: حضرت مجلس أبى العباس بن سريج فتكلم فى الفروع والأصول بكلام حسن أعجبت به، فلما رأى إعجابى قال: هذا ببركة مجالستى لأبى القاسم الجنيد.

٥ - ذو النون المصرى أحد أئمة الصوفية وعظمائهم، قال الحافظ أبو سعيد بن يونس فى تاريخ مصر: كان عالماً فصيحاً حكيماً أصله من النوبة، وقال الحافظ مسلمة بن قاسم: كان رجلاً صالحاً زاهداً عالماً ورعاً متفتناً فى العلوم واحداً فى عصره، ولم يسلم من نقد الجهلة واعتراضاتهم، ولهذا قال الحافظ الذهبى فى الميزان: كان - ذو النون - ممن امتحن وأوذى لكونه اتاهم بعلم لم يعهدوه، كان أول من تكلم بمصر فى ترتيب الأحوال وفى مقامات الأولياء، فقال الجهلة: هو زنديق، قال السلمى: لما مات أظلت الطيور جنازته. أهـ. ومثله فى لسان الميزان للحافظ ابن حجر العسقلانى، وهذه الشهادة من هذين الحافظين الكبيرين تدمغ أعداء الصوفية - خصوصاً الحانقين - بالجهل.

٦ - ذكر التاج السبكى فى طبقات الشافعية عن ابن السمعانى أنه روى بسنده أن أبا



القاسم القشيري - صاحب الرسالة القشيرية - حج سنة من السنين، وقد حج في تلك السنة أربعمئة نفس من قضاة المسلمين وأئمتهم من أقطار البلاد وأقاصي الأرض، فأرادوا أن يتكلم واحد منهم في حرم الله، فاتفق الكل على الاستاذ أبي القاسم، فتكلم هو باتفاق منهم.

٧ - ذكر التاج السبكي أيضاً أن الأئمة كانوا يحضرون مجالس أبي نصر عبد الرحيم بن أبي القاسم القشيري، وهو صوفي كآبيه، ومن كان يحضر دروسه في الكلام الإمام أبو إسحاق الشيرازي فقيه العراق، وشيخ الشافعية على الإطلاق، قال السبكي أيضاً: ومما عظم به أبو نصر أن إمام الحرمين - وهو عصره - نقل عنه في كتاب الوصية من النهاية وهذا فخار لا يعدله شيء أهـ.

٨ - قال الشيخ تاج الدين ابن عطاء الله - وهو من فقهاء المالكية ومشايخ الصوفية - في كتاب «لطائف المنن»: سمعت الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد - وهو إمام مجتهد - يقول ما رأيت أعرف بالله من الشيخ أبي الحسن الشاذلي، وقال أيضاً وأخبرني الشيخ مكيين الدين الأسمر، قال: حضرت بالمنصورة في خيمة فيها الشيخ عز الدين بن عبد السلام، والشيخ مجد الدين علي بن وهب القشيري - هو والد تقي الدين ابن دقيق العيد - والشيخ مجد الدين الإخميمي والشيخ محيي الدين ابن سراقه والشيخ أبو الحسن الشاذلي، ورسالة القشيري تقرأ عليهم وهم يتكلمون، والشيخ أبو الحسن صامت إلى أن فرغ كلامهم، فقالوا: يا سيدي نريد أن نسمع كلامك، فقال أنتم سادات الوقت وكبرائه، وقد تكلمتم. فقالوا: لا بد أن نسمع منك، فسكت الشيخ ساعة، ثم تكلم بالأسرار العجيبة، والعلوم الجليلة، فقال الشيخ عز الدين - وقد خرج من صدر الخيمة وفارق موضعه - : اسمعوا هذا الكلام الغريب القريب العهد من الله. أهـ قلت: كان اجتماع هؤلاء الأعلام في المنصورة سنة ٦٤٨ هجرية، لحضور المعركة الفاصلة بين المسلمين والصليبيين، وقد انتهت بانكسارهم وأسر لويس التاسع ملك فرنسا، ويؤخذ من هذه القصة احترام العلماء - خصوصاً سلطان العلماء وتلميذه ابن دقيق العيد - للصوفية في شخص أبي الحسن الشاذلي زعيم الطائفة ومجدد رسومها، كما يؤخذ منها اشتراك الصوفية في الواجبات الدينية كالجهاد وغيره مما يعود على المجتمع الإسلامي بالخير العميم، وإذا لاحظنا أن الشاذلي حضر تلك المعركة بعد أن كف بصره وجاء

يسعى إليها من الإسكندرية، علمنا ما كان يأخذ به الصوفية أنفسهم من التمسك بعزائم الأمور، ومشاق الأشياء، ولا غرو في ذلك فهم أهل عزيمة صادقة، وهمة خارقة، وحزم لا يلين، وجد في العمل والدأب متين، وكأنا عناهم الشاعر بقوله:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم

وتأتي على قدر الكرام المكارم

وتعظم في عين الصغير صغارها

وتصغر في عين العظيم العظائم

٩ - كان العلماء الأجلاء يحضرون دروس تاج الدين ابن عطاء الله السكندري، وكانت حلقات دروسه في الأزهر أرحب الحلقات، يرتادها أعظم الجماعات، وممن أخذ عنه طريق الشاذلية وتخرج به في التصوف: الإمام الحافظ المجتهد قاضي القضاة تقي الدين السبكي وقرأ عليه كتاب الحكم له، وقال فيه: إنه متكلم الصوفية على طريق الشاذلية، وعلى ذكر كتاب «الحكم» نقول: إن العلماء اعتنوا به قراءة وشرحا ونظما، فكان يدرس في الأزهر إلى عهد قريب، وآخر من أقرأه شيخنا عالم مصر ومفتيها الشيخ محمد بخيت المطيعي الحنفى رحمه الله، وكان يدرس أيضاً بجامع القرويين بفاس، وهو أكبر معهد علمي بشمال أفريقيا، بنى قبل الأزهر بخمسين سنة وحضر فيه أئمة أعلام مثل ابن خلدون والمقرئ صاحب نفح الطيب، أما شروح الحكم فلا تكاد تحصى كثرة، ولقد شرحه الشيخ زروق ثلاثين شرحاً، وشرحه العلامة المحقق الشيخ الطيب بن كيران شرحاً مؤيداً بالسنة فأعقب كل حكمة بحديث يؤيد معناها، وهو شرح نفيس يقع في مجلدين، ومن شروح الحكم شرح جدنا الإمام، الولي الكبير، والقطب الشهير أبي العباس أحمد بن عجيبة الحسنى المتوفى سنة ١٢٢٤، وهو شرح عظيم يقل نظيره بين الشروح على كثرتها، ونظم الحكم جماعة كثيرون منهم شقيقنا الأكبر الحافظ أبو الفيض السيد أحمد بن الصديق، وفي دائرة المعارف الإسلامية أن الحكم ترجمت وشرحت باللغة التركية وغيرها<sup>(١)</sup>.

(١) حقاً إن كتاب «الحكم» لسيدى ابن عطاء الله السكندري - رحمه الله - عظيم القدر والمنزلة، على المقام والمنفعة، طبع مكتبة القاهرة - الأزهر، ومثله كتب سيدى أحمد زروق الفاسى - رحمه الله - «قواعد =

١٠ - ذكر العلامة القاضي أبو عبد الله محمد الطالب ابن الحاج في حاشية المرشد المعين - وهو منظومة في التوحيد والفقهاء المالكي والتصوف - : أن غالب من يشار إليه من علماء الظاهر ممن له تميز وشفوف، ونبوغ في الحفظ والإتقان إنما نال بمخالطة بعض العارفين كابن سريج بمخالطة الجنيد، والعز ابن عبد السلام بمخالطة أبي الحسن الشاذلي، والتقي بن دقيق العيد بمخالطة أبي العباس المرسى اهـ والأدلة كثيرة جداً على أن العلماء كانوا يعتبرون التصوف من الدين، ويعدون الصوفية من الصفوة المختارين.

تم بحمد الله كتاب

## الإعلام

بأن التصوف من شريعة الإسلام

للإمام الفاضل:

عبد الله الصديق الغماري

إشراف:

محمد بن علي بن يوسف

---

= التصوف « وإعانة المتوجه المسكين إلى طريق الفتح والتمكين » و« عدة المرشد الصادق »، وهي مما يتأكد قراءتها لكل مرشد .. والله أعلم بالصواب.

## فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
– مقدمة المحقق	٣
– مقدمة المؤلف	٧
– الحديث الأول: (الإحسان – المراقبة – المشاهدة)	١٤
– الحديث الثاني: (محاربة الله لمن عادى أوليائه – المجاهدة – الفناء فى الله)	١٦
– الحديث الثالث: (علم الظاهر والباطن)	١٧
– الحديث الرابع: (للقرآن ظاهر وباطن)	١٩
– الحديث الخامس: (علوم الحقائق لا ينكرها إلا المغرضون)	٢١
– الحديث السادس: (علم الباطن هو العلم النافع)	٢٢
– الحديث السابع: (الإلهام والتحديث)	٢٣
– الحديث الثامن: (الحقيقة)	٢٥
– الحديث التاسع: (المكاشفة)	٢٨
– الحديث العاشر: (الخلوة والانقطاع إلى الله)	٢٩
• الفتوة	٣١
• الأولياء	٣٧
• الأبدال	٤٠
• بم استحق الأبدال تلك الرتبة	٤٢
• النجباء والنقباء والأوتاد والغوث	٤٤
• الكرامات	٤٥
• حلقات الذكر	٥٢
• موقف العلماء من الصوفية	٥٩
– الفهرس	٦٥